

تأليف

الحافظ أبي حفص عمر بن عليّ البزّار
المتوفى سنة ٧٤٩ هـ

ويليه ذيل في
اسماء أصحاب الشيخ وأعوانه ومحبّيه
وأعدائه والمعترضين عليه

حقّقه

الدّكتور صلاح الدّين المنجد

دار الكتاب الجديد
بيروت • لبنان

الطبعة الأولى
دار الكتاب الجديد ـ بيروت
١٩٧٦ م / ١٣٩٦هـ


الأعلام العلية
في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد وفاة شيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨هـ. ألّف أثنان من أصحابه ومحبّيه ، في مناقبه . أما الأوّل فهو الحافظ أبو عبدالله بن أحمد بن عبد الهادي المتوفي بدمشق سنة ٧٤٤هـ. أما الثاني فهو الحافظ أبو حفص عمر بن علي البغدادي البزّار المتوفي سنة ٧٤٩هـ.

وقد سمّى الأوّل كتابه « العقود الدريّة من مناقب شيخ الاسلام ابن تيميّة » . وسمّاه الثاني « الأعلام العَليّة في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية » .

وقد طبع كتاب العقود بعناية الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله عام ١٣٥٦هـ. أمّا« الأعلامْ العليّة » فقد بقي مخطوطاً . فرأينا تحقيقه ونشره .

* * *

مؤلّف الكتاب :

أبو حفص سراج الدين عمر بن عليّ بن موسى الخليل البغدادي الأزجي البزّار ، ولد ببغداد سنة ثمان وثمانين وستمائة تقريباً . فعُني بالقرآن الكريم والحديث . فقرأ علي عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي

القرآن بحرف أبي عمرو بن العلاء . وكان الواسطي شيخ العراق استاذاً محققاً ثقة ، كذا وصفه ابن الجزري في طبقات القرّاء ، وذكر أنه قرأ عليه الشيخ عمر الأزجي الضرير [1] . وسمع أبو حفص الحديث من اسماعيل الطبّال ، وعلي بن أبي القاسم ، ومحمد بن عبد المحسن ابن الدواليبي . ثم رحل الى دمشق واتصل بشيخ الاسلام ابن تيمية ، فرعاه أعظم رعاية . فقرأ أبو حفص عليه بعض مؤلّفاته ، وقد أثر شيخ الاسلام في تلميذه أعظم تأثير وترك في نفسه أثراً لا يُمحى ، ومكانة رفيعة جليلة . وكذلك قرأ أبو حفص صحيح البخاري على الشيخ الكبير المسند المعمر الحجّار الصالحي المعروف بابن الشحنة ، في مدرسة شرف الاسلام الحنبلية بدمشق . وحضر قراءته الشيخ تقي الدين نفسه . ويحدثنا أبو حفص عن ذلك في كتابه . وكان الحجّار من كبار المحدّثين ، وقد سمع البخاري من ابن الزبيدي سنة ٦٣٠هـ. بقاسيون . وقد قُرِئ عليه صحيح البخاري نحواً من ستين مرّة . وتجاوز المئة من العمر ، وتوفي سنة ٧٣٠هـ.[2] .

وإلى جانب القرآن والحديث ، عُني أبو حفص بالفقه . فقرأ الكثير من كتب المذهب الحنبليّ ، كما قرأ على شيخ الإسلام بعض مؤلفاته أثناء ملازمته إيّاه .

ولا ندري كم بقي أبو حفص في دمشق . على أنه عاد الى بغداد وولي إمامة جامع الخليفة مدة يسيرة . ثم عاد الى دمشق ، وأمّ بالمدرسة الضيائية الحنبلية بالجبل مدة . وفي آخر عمره عاد الى بغداد . وأراد الحج سنة تسع وأربعين ، وكان قد حج مراراً ، واجتمع به الحافظ

---

(١) طبقات القراء ٤٢٩/٢ .

(٢) ابن كثير ، البداية ١٤/١٥٠ .

ابن رجب صاحب « الذيل على طبقات الحنابلة » مع والده ، وقرأ عليه « ثلاثيّات البخاري » بالحلّة اليزيدية . ثم توجّه أبو حفص الى مكة ، فوافاه أجله بمنزلة حاجر قبل بلوغه مكّة ، بسبب انتشار الطاعون يومذاك . فدُفن هناك رحمه الله .

وكان ذا عبادة وتهجّد وورَع ، حسن القراءة بالقرآن ، وذكروا أنّه صنّف في الحديث والفقه والرقائق . لكنّ الذين ترجموا له لم يذكروا أسماء هذه المصنّفات ، سوى كتابه « الاعلام العليّة »[1] .

الكتاب ومخطوطاته :

أشار الى هذا الكتاب من المتقدّمين ابراهيم بن محمد ابن مفلح الحنبلي ، المتوفي سنة ٨٨٤هـ. في « المقصد الأرشد » في ترجمة شيخ الاسلام . فذكر أن أبا حفص البزّار أفرد له ترجمة في كراريس . وكذا ذكره ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ في الترجمة التي عقدها للبزّار ، لكن ابن ناصر الدين الدمشقي المتوفي سنة ٨٤٢هـ. ذكره في كتابه « الردّ الوافر » ونقل قطعة صغيرة منه (ص ١١٧) . وأشار اليه من المتأخرين صاحب « ايضاح المكنون » (١/١٠٣) ، و« هدية العارفين » (١/٧٩٠) .

وكنت اقتنيت من هذا الكتاب نسخة قديمة ، ضمن مجموع قديم من القرن الثامن الهجري ، فيه رسائل كثيرةلشيخ الاسلام ، بعضها غير معروف ولا منشور . فطالعته وأعجبت به . لأن مؤلفه يتحدّث فيه عن أمور كثيرة وقعت له أثناء ملازمته شيخ الإسلام ، ويصفه

(١) انظر ترجمته في : ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٤ ـ ٤٤٥ ؛ الدرر الكامنة ٣/٢٥٦ ؛ الرد الوافر ص ١١٧ ؛ شذرات الذهب ٦/١٦٣ .

وصف عيان في كثير من أحواله . فعزمتُ على تحقيقه ، وأنا في القاهرة ، مديراً لمعهد المخطوطات .

فرحت أبحث عن نسخة أخرى من الكتاب ، رغم أن نسختي عتيقة قديمة . فوجدت نسخة في مكتبه جامعة ليدن في هولاندا . رقمها ١١٢٦ . فاستحصلنا على مصوّرة منها ، ولما قرأتُها وجدت أنها لم تكن بالشيء الذي يُسعى اليه لكثرة أخطائها .

ومخطوطتنا هي الرسالة السابعة في المجموع الذي أشرتُ اليه . وعدد ورقاتها ٢٣ ورقة . في كل ورقة عشرون سطراً ، كتبت بخط نسخي مملوكي جميل . وهي نسخة تغلب عليها الصحة ، إلاّ أن ناسخها كان يُهمل بعض الإعجام . وقد جاء في الورقة الأولى منها :

كتاب الأعلام العلية
في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية
للامام الحافظ أبي حفص البزّار رحمه الله

وجاء في آخرها :

« علّقه لنفسه فقير رحمة ربه محمد بن علي البعلي ثم الدمشقي الحنبلي لطف الله تعالى به في الدارين ، ووافق تمامه غرّة المحرّم سنة ست وخمسين وسبعمئة بالمدرسة الحنبلية بباطن دمشق حرسها الله » .

يلي الكتاب بخط الناسخ نفسه . ذيل في أسماء أصحاب شيخ الاسلام ومحبّيه وأعوانه » . ويبدو أن الكاتب جعله تذكرة لنفسه ليجمع فيه في ـ ورقتين ـ أسماء كثيرة ، وترك بياضاً ليُضيف اليها ، لكنه لم يستوف فيما ذكر اسماء المحبّين ولا المعترضين .

ولم أجد ترجمة لناسخ الكتاب . على أنه يبدو أنه كان من فقهاء

(طَلَبة) المدرسة الحنبلية بدمشق . وهي المدرسة التي وقفها شرف الاسلام عبد الوهاب بن أبي الفرج الحنبلي سنة ٥٣٦هـ. بدمشق[١] .

مخطوطة ليدن :

أما مخطوطة ليدن ، فهي نسخة متأخرة ، لا تاريخ لنسخها ، ولا اسم للناسخ فيها ولعلها من مخطوطات القرن العاشر . وقد نسخها ناسخ ضعيف الثقافة ، فملأها تصحيفاً وتحريفاً ، بخط عادي .

على الورقة الأولى من النسخة :

كتاب الأعلام العليّة في مناقب شيخ الاسلام
تقي الدين أحمد بن الحليم (كذا) بن عبد السلام بن تيمية
قدس الله روحه ونوّر ضريحه تأليف الشيخ
الامام العالم العامل الفاضل
الحافظ سراج الدين أبو حفص
عمر بن علي بن موسى البزّار
رحمة الله تعالى عليه
وغفر له بمنه وكرمه
ولجميع
المؤمنين
آمين

أما نهاية المخطوطة فتتفق ومخطوطتنا ، دون ذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ .

وقد لاحظنا أثناء المقابلة أنّ نسخة ليْدن التي رمزنا اليها بحرف « ل »

(١) انظر موقعها في مخطط دمشق القديمة لنا ، رقم ٥ ، وانظر تنبيه الطالب للنعيمي ٦٤/٢ .

سقطت منها كلمات كثيرة ، ووجدنا فيها بعض عبارات زائدة لا توجد في نسختنا . وقد أشرنا الى ذلك كله في الحواشي . كما أشرنا الى كثير من أخطائها ، ولم نستَقْصِها .

وقد اتخذنا نسختنا أصلاً اعتمدنا عليه في النشر[1]. وقدّمنا لها بذكر الحوادث الكبرى في حياة شيخ الاسلام رحمه الله .

ونسأل الله أن ينفع به ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

بيروت ١٩٧٦ **صلاح الدين المنجد**

(١) جاء في كتاب الرد الوافر (ص ١١٧) ، الصادر عام ١٣٩٣ أن كتاب الاعلام العلية هو تحت الطبع في المكتب الاسلامي . ورغم مضيّ أربع سنوات لم يصدر . لذلك نشرنا النسخة التي حققناها .

الحوادث الكبرى في حياة شيخ الاسلام

ابن تيمية

السنة	
٦٦١	مولد الشيخ بحرّان .
٦٦٧	قدم مع أهله وأبيه الى دمشق (الدارس ١/٧٦) .
٦٨٢	توفي والده الشيخ عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله ابن تيمية في سلخ ذي الحجّة . وكان شيخ دار الحديث السكرية وبها كان يسكن . ودفن بمقابر الصوفية . (البداية ١٣/٣٠٣) .
٦٨٣	في الثاني من المحرم : أول درس يلقيه الشيخ بدار الحديث السكرية بالقصّاعين خَلَفاً لأبيه ، فيحضر عنده قاضي القضاة ابن الزكيّ الشافعي ، والشيخ تاج الدين الفزاري ، وزين الدين ابن المرحّل ، وزين الدين ابن المنجّا . وكان درساً هائلاً ، وقد كتبه تاج الدين الفزاري بخطه لكثرة فوائده . وكان عمر الشيخ إذ ذاك عشرين سنة وسنتين . ثم جلس في عاشر صفر بالجامع الأموي بعد صلاة الجمعة على منبر قد هيّء له ، لتفسير القرآن العزيز . وكان يجتمع عنده الخَلْق الكثير والحجم الغفير (١٣/٣٠٣) .

٦٩٢ الشيخ يحجّ (١٣/٣٣٣) .

٦٩٢ نائب السلطان عز الدين ايبك يطلب ابن تيمية وزين الدين الفـارقي شيخ دار الحديث ويضربهما ويرسم عليهما بالعذراوية . بسبب حادثة عسّاف النصراني . ثم يطلقهما (١٣/٣٣٥ ـ ٣٦) .

٦٩٤ الامام شرف الدين أحمد المقدسي يأذن لابن تيمية بالافتاء . وكان يفتخر بذلك ويقول : أنا أذنتُ لابن تيمية بالافتاء (١٣/٣٤١) .

٦٩٥ الشيخ يدرّس في المدرسة الحنبلية (١٧ شعبان) عوضاً عن الشيخ زين الدين ابنه المنجّا المتوفى ، وبقي يدرّس فيها الى سنة ٧٢٦ (الدارس ٢/٧٤) .

٦٩٨ محنة الشيخ بسبب العقيدة الحموية (بداية ١٤/٤) .

٦٩٩ مجيء قازان الى الشام . ووقعة وادي الخزندار عند سلمية وانكسار الجيش المصري ، وتوجه قازان نحو دمشق .

الشيخ يتوجّه للقائه عند النبْك مع أعيان البلد (بداية ١٤/٧ ـ ٨) .

٦٩٩ الشيخ يصحب الحملة الى جبال كسروان لقتال الرافضة ، ويعودون منصورين .

٧٠٠ ذهاب الشيخ الى مصر لحث السلطان على الجهاد ومعونة أهل دمشق (١٤/١٦) .

٧٠١ جماعة من الحَسَدة يثورون بدمشق على الشيخ ويشكون أنه يُقيم الحدود . ويعزّزُ . ويحلق رؤوس الصبيان . فبيّن لهم خطأهم (١٤/١٩) .

٧٠٢ تزوير كتاب على الشيخ وعلى القاضي شمس الدين الحريري

وجماعة من الأمراء والخواص أنهم يُناصحون التتر ويُكاتبونهم . فعرف نائب السلطنة أن الكتاب مفتعل ، وقطع يد كاتبه (٢٢/١٤) .

٧٠٢ وقعة شقحب مع التتار وخروج الشيخ الى العسكر يحلف لهم أنكم في هذه الكرّة منصورون (١٤/٢٣ـ٢٥) فانتصروا وعاد الشيخ واصحابه الى دمشق .

٧٠٤ الشيخ يذهب الى مسجد النارنج بدمشق ويأمر أصحابه ومعهم حجّارون بقطع صخرة هناك بنهر قلوط تُزار ويُنذر لها . فقطعها . (٣٤/١٤) .

٧٠٤ الشيخ يُحضر شيخاً كان يلبس دلقاً كبيراً متّسعاً جداً ، يسمى المجاهد ابراهيم القطّان ، فيأمر بتقطيع الدلق ، وحلق رأسه ، وتقليم أظفاره وحفّ شاربه المسبل على فمه المخالف للسُّنّة . واستتابه من كلام الفحش وأكل ما يغيّر العقل (٣٣/١٤) .

٧٠٤ في ذي الحجة ركب الشيخ ومعه جماعة من أصحابه الى جبل الجرد والكسروانيّين فاستتاب خلقاً منهم وألزموهم بشرائع الاسلام . ورجع مؤيّداً منصوراً (٣٥/١٤) .

٧٠٥ خروج الشيخ للغزاة . مع الجيش الشامي في بلاد الجرد والرفض والتيامنة . فنصروا . (٣٥/١٤) .

٧٠٥ الفقراء الأحمدية يشكون الشيخ الى نائب السلطنة ، طالبين رفع امارته عنهم وأن يسلّم لهم حالهم . فأصرّ الشيخ على أن يدخلوا تحت الكتاب والسُّنّة . وانتصر الشيخ عليهم بعد ثلاثة مجالس عقدت . (٣٦/١٤) .

٧٠٥ الشيخ يذهب الى السجن ويخرج الحافظ المزّي دون إذن القاضي (١٤/٣٧) .

٧٠٥ ذهاب الشيخ الى القاهرة لمقابلة السلطان . عقد مجلس له في القلعة وسؤاله عما ينسب اليه « أن الله فوق العرش حقيقة ، وأن الله يتكلّم بحرف وصوت » .
حبس الشيخ بحبس الجُبّ .
قراءة كتاب من السلطان في الجامع الأموي بالحطّ على الشيخ تقي الدين ، ومخالفته في العقيدة ، وأن يُنادى ذلك في البلاد الشامية . وإلزام أهل مذهبه بمخالفته ، وكذلك وقع بمصر (١٤/٣٨) .

٧٠٧ خروج الشيخ من السجن وبقاؤه في مصر (١٤/٤٥) .

٧٠٩ الشيخ يتوجّه من القاهرة الى الاسكندرية وينزل في دار السلطان في برّ فسيح منها متسع الأكناف . فينوي الرباط ، ويبقى ثمانية أشهر (١٤/٤٩) .

٧٠٩ السلطان الناصر يطلب الشيخ الى مصر ويجتمع به ، ويُصلح ما بينه وبين القُضاة المصريّين والشاميّين . ثم ينزل الى القاهرة ويسكن بالقرب من مشهد الحسين (١٤/٥٣) .

٧١٢ الشيخ يخرج من القاهرة بصحبة السلطان الناصر بنيّة الغزو . فلما تبيّن له عدم الغزو توجه من غزة الى القدس وعاد إلى دمشق عن طريق عجلون ، ازرع . واستقرّ بها . (١٤/٦٧) .

٧١٥ وفاة والدة الشيخ (١٤/٧٩) .

٧١٨ قاضي القضاة شمس الدين ابن مسلم يجتمع بالشيخ ويُشير

عليه ترك الافتاء في مسألة الحلف بالطلاق . فيجيبه الى ما طلب .
وَرود كتاب من السلطان بمنع الشيخ من الافتاء في مسألة الحلف بالطلاق . ونودي به في دمشق (١٤/٨٧) .

٧٢٠ اعتقال الشيخ بقلعة دمشق بسبب عودته الى الافتاء بمسألة الطلاق (١٤/٩٧) .

٧٢١ الافراج عنه يوم عاشوراء من القلعة . كانت مدة اقامته معتقلاً خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً (١٤/٩٨) .

٧٢٦ سادس عشر شعبان : اعتقال الشيخ بقلعة دمشق ومنعه من الفتيا . وكان ذلك بسبب فتواه في السفر وإعمال المطيّ الى زيارة قبور الأنبياء وقبور الصالحين (١٤/١٢٣) .

٧٢٨ جُمادي الآخرة . أُخرج ما كان عند الشيخ من الكُتب والأوراق والدواة والقلم ومُنع من الكتْب والمطالعة ، وحملت كتبه في مستهل رجب الى خزانة الكتب بالعادلية الكبيرة . وكانت نحو ستين مجلداً ، واربع عشرة ربطة كراريس ، فنظر القضاة والفقهاء فيها وتفرّقوها بينهم (١٤/١٣٤) .

٧٢٨ وفاة الشيخ رضي الله عنه في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة . ودُفن يوم الاثنين في مقابر الصوفية بدمشق (١٤/١٣٦) .



الاعلام العليّة
في مناقب شيخ الاسلام ابن تيميّة
لأبي حفص البزّار

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استعين

قال الشيخ الامام العالم الوَرِعُ الفقيه المحدّث سراجُ الدين أبو حَفْص عمر بن عليّ بن موسى البغداديّ البزّار رحمه الله وأثابه الجنّة :

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وأشهد أن لا اله إلا الله ، وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم .

أما بعد ، فإنّي لما بلغني خبرُ حبر الأمّة وربّانيها الامام المجتهد المجاهد ناصر الشريعة الحنيفيّة ، والذابّ عن السنّة المحمّدية ، شيخ الاسلام تقيّ الدين أبي العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، قدّس الله روحه ، قال لي جماعةٌ من أهل العلم والدين . ومحبّي الخير لكافة المسلمين : إنك قد رأيت الشيخ وصحبتَه . ووقَفْتَ على أحواله وعرفتَه ، فلو أمليتَ شيئاً منها وسطَّرْتَه ، مما شاهدته وخبرته ، لينتفعَ به من يَقفُ عليه من هذه الأمّة ، إذْ عند ذكر الصالحين تَنزلُ الرحمة . فأجبتهم أني[1] إنما صحبتُه أيّاماً معدودة قلائل ، فليس ما أعرفُه بالنسبة

---

(١) في « ل » : « فأجبتهم عني .. » .

الى مناقبه بطائل . لكن لمّا رأيتُ حُسْنَ قصدهم ونيّتهم ، وما دلّ من ظاهرهم على صلاح طويّتهم ، وأنّ الذي طلبوه مني عليّ حقّاً واجباً - إذْ يلزمُ العالمُ بما فيه نصح المسلمين أن يكون على نشره مُواظباً - فذكرت نبذةً مختصرة من مناقبه وطُرَفه تدلّ العاقل المنصف على فضائله وشرفه ، وقد رتّبتُها فصولاً ، لتكون لمتأمّلِهـا دليلاً . وذكرتُ في كلّ فَصْلٍ منها ما حَضَرَني مما[1] يليق بذكره فيه من ذكر مولده ، ومنشأه ، وتوفيق الله تعالى له مدة عمره من أوّله / الى آخره ، وحرصه على العلوم واجتهاده ، وكثرة سماعه الأحاديث وازدياده ، .. وغزارة علومه ومؤلّفاته ومصنّفاته ، وسعة نقله في فتاويه ودروسه البديهيّة ومنصوصاته ، وثاقب بصره بأنواع أجناس المذكور والمقول والمنقول ، والمتصوّر والمفهوم ، والمعقول ، وذكر تعبّده وورعه ، وزهده وتجرّده ، وخلّوه عن الدنيا وتعبّده ، وإيثاره مع فَقْره وتواضعه ، وكرامته وفراسته ، وثباته وكرمه ، وشجاعته وصبْره في ذات الله ، ومِحَنه ، وحفظ الله تعالى ورعايته له ، مع تحاشُد أعدائه وحُسَّده ، وذكر وفاته ، وكثرة مَنْ صلّى عليه ومُشيعي جنازته ، وما ألقى الله تعالى في قلوب الخاصّة والعامّة في حياته وبعد وفاته ، وانتشار فضله وفضائله ، وعلمه ومسائله ، في البلاد والآفاق . فأقولُ وبالله التوفيقُ والرشاد :

الفصلُ الأوّل : في ذكر مولده ومنشأه . ومدّة عمره رضي الله عنه وأرضاه .

الفصل الثاني : في غزارة علومه ومؤلفاته ومصنّفاته وسعة نقله في دروسه وعلومه البديهيّة ومنصوصاته .

---

(١) في « ل » : « ما » .

الفصل الثالث : في ذكر معرفته أنواع أجناس المذكور والمقول والمنقول ، والمتصوَّر والمفهوم ، والمعقول .

الفصل الرابع : في ذكر تعبّده .

الفصل الخامس : في ذكر بعض ورعه .

الفصل السادس : في ذكر بعض زُهده وتجرّده ، وتقاعده عن الدنيا وتبعّده .

الفصل السابع : في إيثاره مع فقره ، وتواضعه .

الفصل الثامن : في هيئته ولباسه .

الفصل التاسع : في ذكر بعض كراماته[1] وفراسته .

الفصل العاشر : في ذكر كرمه .

الفصل الحادي عشر: في ذكر قوّة قلبه وشجاعته .

الفصل الثاني عشر/ : في ذكر قوّته في مرضاة الله تعالى وصبره على الشدائد واحتماله إيّاها لله ، وثبوته على الحق الى أن توفّاه الله على ذلك . (٢ آ)

الفصل الثالث عشر : في ذكر أنّ الله تعالى جعله حجّةً في عصره ، ومعياراً للحق والباطل ، مريداً الآجل ، وغير مؤثر العاجل[2] .

الفصل الرابع عشر : في ذكر وفاته ، وكثرة من صلّى عليه وشيّعه . رضي الله عنه وأرضاه .

---

(١) في « ل » : « كرماته » .

(٢) في « ل » « مريد الآجل ومؤثر العاجل » .

الفصل الأوّل

في ذكر منشأه وعمره ومدّة عمره
رضي الله عنه وأرضاه

أمّا مولده فكما أخبرني به غيرُ واحد من الحُفّاظ أنّه وُلد بحرّان في عاشر ربيع الأوّل سنة إحدى وستّين وست مئة . وبقي بها إلى أنْ بلغ سبع سنين ، ثم انتقل به والدُه رحمه الله الى دمشق المحروسة فنشأ بها أتمَّ إنشاءٍ وأزكاه ، وأنبتَه الله أحسن النبات وأوفاه . وكانت مخايلُ النجابة عليه في صِغَره لائحة . ودلائلُ العناية فيه واضحة ، أخبرني مَنْ أثق به عن جدّته أنّ الشيخ رضي الله عنه في حال صِغَرِه كان إذا أراد المضيّ الى المكتب يعترضُه يهوديٌّ كان منزله بطريقه ، بمسائل يسألُه عنها لِما يلوحُ عليه من الذكاء والفِطْنَة . وكان يُجيبُه عنها سريعاً حتى تعجّب منه . ثم إنّه صار كلّما اجتاز يُخبره بأشياء مما يدلّ على بُطْلان ما هو عليه ، فلم يلبث أن أسلم وحَسُن اسلامه . وكان ذلك ببركة الشيخ على صغر سِنّه .

ولم يزل منذ أيّام صغره مُسْتَغْرق الأوقات في الجدّ والاجتهاد . وخَتَم القرآن صغيرا ، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربيّة حتى بَرَع في ذلك ، مع ملازمته مجالس الذكر وسماع الأحاديث والآثار . ولقد سمع غير كتابٍ على غير شيخ من ذوي الروايات ، الصحيحة

العالية . أما دواوينُ الاسلام الكبار كمسند أحمد ، وصحيح البخاري ومسلم ، وجامع / الترمذيّ ، وسنن أبي داوود السجستاني ، والنَّسائي ، وابن ماجه ، والدَارَقُطْني فإنه سمع كلّ واحد منها مرّات عدَّة . وأوّل كتاب حفظه في الحديث « الجمعُ بين الصحيحَيْن » للإمام الحُمَيْدِي .

٢ ب)

وقلّ كتابٌ من فنون العلم إلاّ وَقَفَ عليه . كَأَنّ الله قد خصّه بسرعة الحفظ وإبطاء النسيان . لم يكن يقفُ على شيءٍ أو يستمعُ لشيءٍ غالباً إلاّ ويبقى على خاطره ، إمّا بلفظه أو معناه . وكان العلمُ كأنّه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره ، .

فإنّه لم يكن له مستعاراً ، بل كان له شِعاراً ودثاراً . لم يزل آباؤه أهلَ الدراية التامّة ، والنقد ، والقدم الراسخة في الفضل . لكنْ جمع الله له ما خَرَقَ بمثله العادة ، ووفّقه في جميع عمره لأعلام السعادة ، وجعل مآثره لإمامته أكبر [1] شهادة ، حتى اتّفق كلُّ ذي عقل سليم أنّه ممن عَنَى نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم بقوله « إنّ الله يبعثُ على رأسِ كلِّ مئة سنة من يُجدِّدُ لهذه الأمّة أمر دينها » [2] . فلقد أحيا الله به ما كان قد دَرَس من شرائع الدين وجعله حجّةً على أهل عصره أجمعين .. والحمد لله ربّ العالمين .

---

(١) « ل » : « من أكبر » .

(٢) رواه أبو داود في السنن ، باب الملاحم . وفيه « ... من يجدّد لها دينها » .

الفصل الثاني

في غزارة علومه ومؤلّفاته ومصنّفاته
وسعة نقله في فتاويه ودروسه البديهيّة ومنصوصاته

أمّا غزارةُ علومه فمنها : ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره ، واستشهاده بدلائله ، وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه ، وفنون حكمه ، وغرائب نوادره ، وباهر فصاحته ، وظاهر ملاحته ، فإنّه فيه الغايـــة التي يُنتهى اليها ، والنهايةُ التي يُعَوَّلُ عليها . ولقد كان إذا قُرِيء في مجلسه آياتٌ من القُرآن العظيم يشرعُ في تفسيرها / ، فينقضي المجلسُ بجملته ، والدرسُ بزمنه ، وهو في تفسير بعضِ آيةٍ منها .

(٦ آ)

وكان مجلسهُ في وقْتٍ مُقَدَّرٍ بقدر ربع النهار . يفعل ذلك بديهةً من غير أن يكون له قاريءٌ مُعَيّن يقرأ له شيئاً مُعَيّناً ببيته يستعدّ لتفسيره ، بل كان مَنْ حَضَرَ يقرأ ما تَيَسَّر ، ويأخُذُ هو في القَوْل على تفسيره . وكان غالباً لا يقطع إلاّ ويفهمُ السامعون أنّه لولا مُضيُّ الزمن المعتاد لأوْرَد أشياء أُخَرَ في معنى ما هو فيه من التفسير ، لَكنْ يقطع نظراً في مصالح الحاضرين .

ولقد أملى في تفسير (قُلْ هو الله أحدٌ) مجلّداً كبيراً .

وقوله تعالى (الرحمنُ على العرشِ استوى) نحو خمس وثلاثين كرّاسة .

ولقد بلغني أنّه شرع في جمع تفسير لو أتمّه لبلغ خمسين مجلّداً .

* * *

أما معرفته وبصره بسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأقوالِه وأفعالِه وقضاياه ، ووقائعه وغزواته ، وسراياه وبعوثه ، وما خصّه الله تعالى من كراماته ومعجزاته ، ومعَرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه ، والمنقول عن الصحابة رضي الله عنهم في أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم وأحوالهم ، وأحوال مجاهداتهم في دين الله ، وما خُصّوا به من بَيْن الأمّة ، فإنّه كان ، رضيَ الله عنه ، من أضبط الناس لذلك ، وأعرفهم فيه ، وأسرعهم استحضاراً لما يريدُه منه . فإنّه قلّ أنّ ذكر حديثاً في مُصَنّفٍ وفتوى ، أو استشهد به ، أو استدلّ به ، إلاّ عزاه في أيّ دواوين الاسلام هو ، ومن أيّ قسمٍ من الصحيح أو الحَسَن أو غيرها . وذكر اسم راويه من الصحابة . وقلَّ أن يُسأل عن أثرٍ إلاّ وبيّن في الحال حالَه ، وحال أمره ، وذِكره .

(٢ب) ومن أعجب الأشياء في ذلك أنّه في محنته / الأولى بمصر لمّا أُخذ وسُجن[1] ، وحيل بينه وبين كُتُبه ، صنّف عدّة كتب صِغاراً وكبارا ، وذكر فيها ما احتاج الى ذكره من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدِّثين والمؤلّفين ومؤلّفاتهم ، وعزا كلّ شيءٍ من ذلك الى ناقليه وقائليه بأسمائهم ، وذكر أسماء الكتب التي ذلك فيها ، وفي أيّ موضع هو منها . كلُّ ذلكَ بديهة من حِفْظه ، لأنّه لم يكن عنده حينئذ

---

(١) كان ذلك في سنة ٧٠٥هـ . انظر التفصيل في تاريخ ابن كثير ٣٦/١٤ وما بعدها .

كتابٌ يُطالعه . ونُفيتْ[1] واعتُبرتْ فلم يوجد فيها بحمدالله خَلَل ولا تغيُّر . ومن جملتها كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » ، وهذا من الفضل الذي خَصّه الله تعالى به .

* * *

ومنها ما منحه الله تعالى من معرفة اختلاف العلماء ونصوصهم ، وكثرة أقوالهم واجتهادهم في المسائل ، وما رُوي عن كلٍّ منهم من راجح ومرجوح ، ومقبولٍ ومردود ، في كلّ زمانٍ[2] ومكان وعصر ، من الصحيح الثاقب الصائب للحق مما قالوه ونقلوه ، وعزْوه ذلك الى الأماكن التي بها أودعوه . حتى كان إذا سُئل عن شيءٍ من ذلك كأنَّ[3] جميع المنقول عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه والعلماء فيه من الأوّلين والآخرين متصوّر مسطور بازائه . يقولُ ما شاء الله ، ويذكر ما يشاء . وهذا قد اتّفق عليه كلّ مَنْ رآه ، أو وَقَفَ على شيءٍ من علمه ، ممن لم يُغلظ[4] عقلَه الجهلُ والهوى .

* * *

وأمّا مؤلّفاته ومصنّفاته فإنّها أكثرُ من أن أقدر على إحصائها أو يحضُرُني جملة أسمائها ، بل هذا لا يقدر عليه غالباً أحد ، لأنها كثيرة جداً ، كباراً وصِغاراً . وهي منشورة في البلدان . فَقَلَّ بلدٌ نَزَلتُه إلاّ ورأيْتُ فيه من تصانيفه .

---

(١) « ل » : « نقيت » خطأ . يُقال : نفا الدراهم أثارها للانتقاد (القاموس) .

(٢) « ل » : « بيان » .

(٣) ل « كان » .

(٤) « ل » « يغلط » خطأ .

(٤ آ) فمنها ما يُبلغ اثنى عشر مجلداً كتلخيص التلبيس / على أساس التقديس . وغيره .

ومنها ما يبلغ سبع مجلدات كالجمع[1] بين العقل والنقل .

ومنها ما يبلغ خمس مجلّدات ومنها منهاجُ الاستقامة والاعتدال ونحوه.

ومنها ما يبلغ ثلاث مجلّدات كالرَّد على النصارى وشِبْهه .

ومنها مجلدان كنكاح المحلّل ، وإبطال الحيل ، وشرح العقيدة الأصبهانية .

ومنها مجلّد ودون ذلك . وهذان القِسْمان من مؤلفاته فهي كثيرة جداً لا يمكنني استقصاؤها ، لكن أذكرَ بعضها استئناساً :

كتاب تفسير سورة الاخلاص مجلد .

كتاب الكلام على قوله عزّ وجل (الرحمن على العرش استوى) .

كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ، مجلد .

كتاب الفرق المبين بين الطلاق واليمين .

كتاب الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

كتاب اقتضاء الصراط المستقيم .

كتاب الكلم الطيّب .

كتاب إثبات الكمال .

كتاب الردّ على تأسيس التقديس .

---

(١) « ل » : « الحرد » واسم الكتاب في « اسماء مؤلفاته » لابن قيم الجوزية : « درء تعارض العقل والنقل » . ص ١٩ .

كتاب نقض أقوال المبتدعين .

كتاب الردّ على النصارى .

كتاب إبطال الحيل ونكاح المحلّل .

كتاب شرح العقيدة الاصبهانية .

كتاب الفتاوى .

كتاب الدرّ الملتقط .

كتاب أحكام الطلاق .

كتاب الرسالة .

كتاب اعتقاد الفرقة الناجية .

كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام .

كتاب تقرير مسائل التوحيد .

كتاب الاستغاثة والتوسّل .

كتاب المسائل الحموية .

كتاب المسائل الجزرية .

كتاب المسائل المفردة .

ولا يليقُ هذا المختصر بأكثر من هذا القدْر من مؤلفاته ، وإلاّ فيمكن تعداد ما ينيفُ على المأتَيْن[1] ، لكن لم نرَ الإطالة بذكره .

* * *

(١) انظر اسماء مؤلفات الشيخ رحمه الله في رسالة ابن قيّم الجوزية ، وفي الوافي بالوفيات للصفدي ؛ وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب .

(ب) وأما / فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل فهي أكثر من أن أقدر على إحصائها ، لكن دُوِّن بمصر منها على أبواب الفقه سبعة عشر مجلّداً[1] . وهذا ظاهر مشهور . وجمع أصحابه أكثر من أربعين ألف مسألة . وقلَّ أن وَقَعَتْ واقعةٌ وسُئل عنها إلاّ وأجابَ فيها بديهةً بما بَهَرَ واشتهر . وصار ذلك الجواب كالمصنّف الذي يحتاج فيه غيرُه الى زمن طويل ومطالعة كُتُب ، وقد لا يقدر مع ذلك على إبراز مثله .

أخبرني الشيخُ الصالح تاج الدين محمد المعروف بابن الدوري أنّه حضر مجلس الشيخ رضي الله عنه ، وقد سأله يهوديٌّ عن مسألةٍ في القَدَر قد نظمها شعراً في ثمانية أبيات ، فلما وقف[2] عليها فكّر لحظة يسيرة وأنشأ يكتب جوابها . وجعل يكتب ونحن نظنّ أنّه يكتب نثراً[3] . فلما فرغ تأمّله مَنْ حَضَرَ من أصحابه ، وإذا هو نظم في بحر أبيات السؤآل ، وقافيتُها تقرُب منماية وأربعة وثمانين[4] بيت ، وقد أبرزَ فيها من العلوم ما لو شُرِح بشرحٍ لجاء شَرْحُه مجلّدين كبيرَيْن . هذا من جملة بواهره . وكم من جواب فتوى لَم يُسْبَق الى مثله .

* * *

وأمّا ذكرُ دروسه فقد كنتُ في حال إقامتي بدمشق لا أفوّتها . وكان لا يهيّيء شيئاً[5] من العلم ليُلقيه ويوردُه ، بل يجلس بعد أن يُصلّي ركعتيْن فيحمدالله ويُثني عليه ، ويُصلِّي على رسوله صلّى الله عليه وسلّم ،

(١) ل : « مجلد » خطأ .

(٢) ل : « وقفت » خطأ .

(٣) ل : « فقرا » خطأ .

(٤) ل : « وثمانون » خطأ .

(٥) ل : « شيء » خطأ .

على صفةٍ مُسْتَحسنة مُستعذبة لم أسمعها من غيره . ثم[١] يشرعُ ، فيفتحُ الله عليه ايراد علومٍ وغوامضَ ولطائفَ ودقائقَ وفنونٍ ونُقولٍ واستدلالات بآياتٍ وأحاديث ، وأقوال العلماء ، ونقد[٢] بعضها وتَبْيين صحّته أو تزييف[٣] بعضها ، وايضاح حجته ، واستشهادٍ / بأشعار العرب ، وربّما ذكر ناظمها . وهو مع ذلك يجري كما يجري السيل ، ويفيض كما يفيضُ البحر ، ويصيرُ ، منذ يتكلّم الى أن يَفْرغ ، كالغائب عن الحاضرين ، مُغمضاً عيْنَيْه ، وذلك كلّه مع عدم فكره فيه ، وروايته[٤] من غير تَعَجْرُفٍ ولا توقّفٍ ولا لحنٍ ، بل فَيْضٌ إلهيّ ، حتى يبهر كل سامعٍ وناظر ، فلا يزالُ كذلك الى أن يصمت . وكنتُ أراه حينئذٍ كأنّه قد صار بحضرة مَنْ يشغله عن غيره ، ويقعُ عليه إذْ ذاك من المهابة ما يُرْعد القلوب ويحيّر الأبصار والعقول .

وكان لا يذكر رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلم قطُّ إلاّ ويُصلّي ويُسَلِّم ، ولا والله ما رَأيتُ أحداً أشدَّ تعظيماً لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولا أحرصَ على اتباعه ونَصْر ما جاء به منه . حتى إذا كان أوردَ شيئاً من حديثه في مسألة ويرى أنه لم ينسخه شيءٌ غيرُه من حديثه يعملُ به ويقضي ويُفتي بمقتضاه ، ولا يلتفتُ الى قول غيره من المخلوقين كائناً مَنْ كان . وقال رضي الله عنه : كلُّ قائلٍ إنما يحتجُّ لقوله لا به ، إلاّ الله ورسولُه .

وكان إذا فرَغ من درسه يفتح عيْنَيْه ، ويُقبلُ على الناس بوجهٍ طَلْقٍ

---

(١) ساقطة من ل .

(٢) ل : « نصر » .

(٣) ل : « وتزييف » .

(٤) ل : « ورويته » خطأ .

بَشيشٍ وخلق دمِث[1] ، كأنه لقيهم حينئذ . وربّما اعتذر الى بعضهم من التقصير في المقال مع ذلك الحال . ولقد كان درسُه الذي يوردُه حينئذٍ قدر عِدّةِ كراريس . وهذا الذي ذكرتُه من أحوال دَرْسه أمرٌ مشهورٌ يُوافقني عليه[2] كُلّ حاضريه ، وهم بحمدالله خَلْقٌ كثير ، لم يُحْصَرْ عددهم : علماء ، ورؤساء ، وفُضلاء ، من القُرّاء والمحدّثين والفقهاء والأدباء وغيرهم من عوامّ المسلمين .

•

(١) ل : « دمست » خطأ .

(٢) ساقطة من ل .

الفصل الثالث

في ذكر معرفته بأنواع أجناس المذكور والمقول والمتقول والمتصوَّر/ والمفهوم والمعقول .

(٥ب)

أمّا معرفتُه بصحيح المنقول وسقيمه فإنّه في ذلك من الجبال التي لا يُرتقى ذروتها ، ولا يُنال سنامُها . قَلَّ أن ذُكِر له قولٌ إلاّ وقد أحاط علمُه بمبتكره وذاكره وناقله وأثره ، أو راوٍ إلاّ وقد عَرَفَ حاله من جَرْحٍ وتعديل بإجمالٍ وتفصيل .

حكى مَنْ يوثقُ بنقله أنّه كان يوماً بمجلسٍ ، ومحدّثٌ يقرأُ عليه بعض الكتب الحديثيّة . وكان سريعَ القراءة . فعارضه الشيخُ في اسم رجل من سند الحديث قد ذكره القاريءُ بسرعة . فذكر الشيخ أنّ اسمه فلان ، بخلاف ما قرأ . فاعتبروه فوجدوه كما قال الشيخ . فانظرْ إلى هذا الإدراك السريع والتنبيه الدقيق العجيب . ولا يقدر على مثله إلاّ من اشتدّت معرفتُه ، وقويَ ضَبْطُه .

* * *

وأما ما وَهَبَه الله تعالى ومنحه[١] من استنباط المعاني من الألفاظ النبويّة والأخبار المَرْوِيّة ، وإبراز الدلائل منها على المسائل ، وتبيين

(١) ل : « ومنحه به » .

مفهوم اللفظ ومنطوقِه ، وإيضاحِ المخصّص للعام ، والمقيّد للمطلق ، والناسخ للمنسوخ ، وتبيين ضوابطها ولوازمها وملزوماتها وما يترتّبُ عليها ، وما يحتاجُ فيه اليها ، حتى إذا ذكر آيةً أو حديثاً ، وبيّن معانيه وما أُريدَ به ، يعجبُ العالم الفَطِنُ من حُسْن استنباطه ، ويُدْهشه ما سمعه أو وقف عليه منه .

ولقد سُئل يوماً عن الحديث « لعن الله المُحِلَّ والمحلَّل له »[1] فلم يزل يوردُ فيه وعليه حتى بلغ كلامُه فيه مجلّداً كبيرا . وقلَّ أنْ كان يُذكَرُ له حديثٌ أو حكمٌ فيشاء أن يتكلّم عليه يومَه أجمع إلاّ فعل . أو يُقرأ بحضرته آيةٌ من كتاب الله تعالى ويشرَع في تفسيرها إلاّ وقطع المجلسَ كلَّه فيها .

* * *

(٦ آ) وأمّا ما خَصّه الله تَعالى به من معارضة أهل البدع في بدعتهم ، / وأهل الأهواء في أهوائهم ، وما ألّفه في ذلك من دَحْضِ أقوالهم وتزييف أمثالهم وأشكالهم ، وإظهار عوارِهم وانتحالهم ، وتبديد شَمْلهم ، وقطع أوصالهم ، وأجوبته عن شُبههم الشيْطانيّة . ومعارضتهم النفسانيّة للشريعة الحنيفيّة المحمّدية بما منحه الله تعالى[2] من البصائر الرحمانيّة والدلائل النقلية والتوضيحات العقليّة ، حتى انكشف قناع الحق[3] . وبان فيما جمعه في ذلك وألّفه الكذب من الصِــدْق ، حتى لو أن أصحابها أحياءٌ ووقفوا لغير الشقاء لأذعنوا له بالتصديق ودخلوا في الدين العتيق .

---

(١) في الأصل « لعن الله المحلّل ... » وما أثبتناه عن مسند أحمد ١/٤٤٨ : ورواه الدرامي ، والترمذي وابن ماجه في باب النكاح ، والنسائي في باب الطلاق .

(٢) ل : « منحه الله تعالى به ... » .

(٣) ل : « قناع الحيّ » .

ولقد وجب على كلّ مَنْ وَقَفَ عليها وفهم ما فيها أن يحمد الله تعالى على حُسْن توفيقه هذا الامام لِنَصْرِ الحق بالبراهين الواضحة العظام .

حدّثني غير واحدٍ من العلماء الفُضلاء النبلاء الممعنين بالخوْضِ في أقاويل المتكلّمين لإصابة الثواب وتمييز القشر من اللُّباب أنّ كلاً منهم لم يزل حائراً في تجاذُب أقوال الأصوليّين[1] ومعقولاتهم ، وأنّه لم يستقِرّ في قلبه منها قولٌ ولم يَبِنْ له من مضمونها حقٌّ . بل رآها كلّها مُوقعةً في الحيرة والتضليل ، وجُلّها مذعن بتكافيء الأدلّة والتعليل . وأنه كان خائفاً على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل ، حتى مَنَّ الله تعالى عليه بمطالعته مؤلّفات هذا الامام أحمد بن تيمية شيخ الاسلام مما أورده من النقليّات والعقليّات في هذا النظام . فما هو إلاّ أن وقفَ عليها وفهمها ، فرآها موافقةً للعقل السليم وعلمها ، حتى انجلى ما كان قد غشيه من أحوال المتكلّمين من الظلام ، وزال عنه ما خاف أن يقع فيه من الشكّ وظفر بالمرام . وَمَنْ أراد اختبار / صحة ما قلتُه فَلْيَقِفْ بعيْن الإنصاف العَرِيّة عن الحسد والانحراف إنْ شاء على مختصراته في هذا الشأن ، كشرح الاصبهانيّة ونحوها ، وإن شاء على مطوّلاته كتخليص التلبيس من تأسيس التقديس ، والموافقة بين العقل والنقل ، ومنهاج الاستقامة والاعتدال ، فإنّه واللهِ يظفر الحق والبيان ، ويستمسك بأوضح بُرْهان ، ويزن حينئذٍ ذلك بأصحّ[2] ميزان .

ولقد أكثر ، رضي الله عنه ، التصنيف في الأصول فضلاً عن غيره من بقيّة العلوم . فسألتُه عن سبب ذلك ، والتمسْتُ منه تأليف

---

(١) ل : « الاصولين » .

(٢) ل : « وناصح ميزان » .

نصٍّ في الفقه يجمع اختياراته وترجيحاته ليكون عمدة في الإفتاء .
فقال لي ما معناه : الفروع أمرُها قريب ، فإذا[1] قلّد المسلمُ فيها أحد العلماء المقلَّدين جاز له العملُ بقوله ، ما لم يتيقّن خطأه . وأمّا الأصول فإني رأيتُ أهلَ البِدَع والضلالات والأهواء كالمتفلسفة والباطنيّة والملاحدة ، والقائلين بوحدة الوجود ، والدهرية ، والقَدَريّة والنصَيْريّة والجَهْمِيّة والحُلولية والمُعَطِّلة ، والمُجَسِّمة والمُشَبِّهة والراونديّة والكلابية والسلميّة[2] وغيرهم من أهل البِدَع قد تجاذبوا فيها ، بأزِمّة الضلال ، وبان لي أنّ كثيراً منهم إنّما قصد إبطال الشريعة المقدّسة المحمّدية ، الظاهرة على كلّ دينٍ ، العليّة . وأن جمهورهم أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم ، ولهذا قلّ أن سمعتُ[3] أو رأيتُ مُعْرِضاً عن الكتاب والسُنّة ، مُقبلاً على مقولاتهم[4] إلاّ وقد تَزَنْدَق أوصار على غير يقين في دينه أو اعتقاده . فلما رأيتُ / الأمرَ على ذلك بان لي أنه[5] يجب على كلِّ مَنْ يقدر على دفع شُبههم وأباطيلهم وقطع حُجّتهم وأضاليلهم أن يَبْذُل جهده ليكشف رذائلهم . وزيْف[6] دلائلهم ، ذبّاً عن الملّة الحنيفيّة .

(٧ آ)

---

(١) ل : « ومن » .

(٢) شرح آراء أصحاب هذه الفِرَق يطول : فارجع الى : مقالات الاسلاميين للأشعري . والملل والنحل للشهرستاني . والمقالات والفِرَق للقمّي ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي . والفرق المفترقة للعراقي . ـ وللرد عليهم أنظر ما كتبه شيخ الاسلام في أماكن كثيرة من مجموعة فتاويه . وكتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ، والتبصير في الدين للاسفراييني ، وكشف الغطاء للأهدل اليمني . وغير ذلك .

(٣) ل : « قل أن من سمعت » .

(٤) ل : « مكاناتهم » خطأ .

(٥) ل : « أن » .

(٦) ل : « تزيف » .

والسُنّة الصحيحة الجليّة . ولا والله ما رأيتُ فِهم أحداً ممن صَنّف في هذا الشان ، وادّعى علو المقام ، إلاّ وقد ساعد بمضمون كلامه في هَدْم قواعد دين الاسلام . وسبب ذلك إعراضُه عن الحق الواضح المبين ، وعن ما جاءت به الرُسل الكرام عن ربّ العالمين ، واتباعه طُرق الفلسفة في الاصطلاحات التي سمّوها بزعمهم حِكَميّات وعقليّات ، وإنّما هي جهالات وضلالات ، وكونه التزمها مُعْرِضاً عن غيرها أصلاً ورأساً . فغلبتْ عليه حتى غطّتْ على عقله السليم فتخبّط حتى خبط فيها خبْطَ[1] عشواء ، ولم يُفرِّق بين الحق والباطل ، وإلاّ فالله أعظم لطفاً بعباده من[2] أن لا يجعل لهم عقلاً يقبل الحق ويُثبته ، ويُبطل الباطل وينفيه . لكنّ عدمَ التوفيق وغَلَبَةَ الهوى أوقع مَـنْ أوقع في الضلال . وقد جعل الله تعالى العقل السليم من الشوائب ميزاناً يَزِنُ به العبدُ الواردات فيُفرِّقُ به بين ما هو من قبيل الحقّ ، وما هو من قبيل الباطل . ولم يبعث الله الرُسل إلاّ الى ذوي العقل ، ولم يقع التكليف إلاّ مع وجوده ، فكيف يُقال إنه مخالفٌ لبعض ما جاءت به الرُسلُ الكرام عن الله تعالى ؟ هذا باطل قَطْعاً . يشهد له كلّ عقلٍ سليم ، لكن (من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)[3] .

قال الشيخ الامام قدّس الله روحه : فهذا ونحوه هو الذي أوجب أنّي صَرَفْتُ جُلَّ همّي / الى الأصول ، وألزمني أن أوردْتُ مقالاتهم وأجبْتُ عنها بما أنعم الله تعالى به من الأجوبة العقليّة والنقليّة » .

قلتُ : وقد أبان بحمد الله تعالى فيما ألّف فيها لكلّ بصير ، الحقّ

(١) ساقطة من ل .

(٢) ساقطة من ل .

(٣) سورة النور ٢٤٠ ، الآية ٤٠ .

من الباطل ، وأعانه بتوفيقه حتى ردَّ عليهم بِدَعهم وآراءهم وخِدَعهم وأهواءهم ، مع الدلائل النقلية بالطريقة العقليّة ، حتى يجيب عن كل شُبهة من شُبَههم بعدّة أجوبة جليّة واضحة يعقلُها كلُّ ذي عقل صحيح ، ويشهد لصحّتها كلّ عاقل رجيح . فالحمدُ لله الذي مَنّ علينا برؤيته وصُحبته ، فلقد جعله الله حجّة على أهل هذا العصر ، المعرض غالب أهله عن قليله وكثيره ، لاشتغالهم بفاني الدنيا عما يحصَّل به باقي الآخرة . فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، لكنّ الله ذو القوّة المتين ضَمِنَ حفظ هذا الدين الى يوم الدين ، وأظهره على كلّ دين . فالحمدُ لله ربّ العالمين .

الفصل الرابع

في ذكر تعبّده

أمّا تعبّده رضيَ الله عنه فإنّه قَلَّ أنْ سُمع بمثله ، لأنّه كان قد قطع جُلَّ وقته وزمانه فيه ، حتى إنّه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تعالى ما يُرادُ له من أهل ولا من مال . وكان في ليله متفرّداً عن الناس كلّهم ، خالياً بربّه عزّ وجلّ ، ضارعاً ، مواظباً على تلاوة القرآن العظيم ، مكرّراً لأنواع التعبّدات الليلية والنهاريّة . وكان إذا ذهب الليْل وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر يأتي بسنّتها قبل إتيانه اليهم . وكان إذا أحرم بالصلاة يكاد يخلع القلوب لهيبة اتيانه بتكبيرة الاحرام . فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميد يمنةً ويُسرة . وكان إذا قرأ يمدّ قراءته مدّاً كما صحّ في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلّم / . وكان ركوعه وسجوده وانتصابه عنهما من أكمل ما ورد في صلاة الفَرْض . وكان يُخِفُّ جلوسَه للتشهّد الأوّل خفّة شديدة ، ويجهرُ بالتسليمة الأولى حتى يسمعَ كلُّ مَنْ حضر . فإذا فرغ من الصلاة أثنى على الله عزّ وجلّ هو ومَنْ حضر بما ورد من قوله « اللهم أنتَ السلام ومنك السلام . الحديث » . ثم يُقبل على الجماعة ، ثم يأتي بالتهليلات الواردات حينئذ . ثم يسبّحُ الله ويحمدُه ويكبّره ثلاثاً وثلاثين ، ويختم المائة بالتهليل . كما ورد ، وكذا الجماعة . ثم يدعو الله تعالى له ولهم وللمسلمين أجناس ما ورد .

وكان غالب دعائه « اللهم انصرْنا ولا تَنْصُر علينا ، وأمكر لنا ولا تَمْكر علينا ، وأهدِنا ويسِّرْ الهدى لنا . اللهم اجعلنا لَك شاكرين ، لك ذاكرين ، اليك راغبين ، لك مُخْبِتين ، اليك راهبين ، لك مطاويع . ربّنا تقبّل توباتنا ، وأغسل حَوْباتنا ، وثبّت حججنا ، واْهْدِ قلوبنا ، واسلُل سخيمةَ صدورنا » يفتتحه ويختمه بالصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلم .

ثم يشرع في الذكر . وكان قد عُرِفَتْ عادتُه لا يُكلِّمُه أحدٌ بغير ضرورة بعد صلاة الفجر . فلا يزال في الذكر يسمع نفسه ، وربما يُسمَعُ ذكرُه من الروحانيّة ، مع كوْنه في خلال ذلك يُكثر من تقليب بصره نحو السماء . هكذا دأبه[1] حتى ترتفع الشمس وتزول ، وقتَ النهي عن الصلاة .

وكنتُ مدّة إقامتي بدمشق ملازمه جلَّ النهار وكثيراً[2] من الليل . وكان يُدنيني منه حتى يُجلسني الى جانبه . وكنتُ أسمع ما يتلو وما يذكر حينئذ . فرأيته يقرأ الفاتحة ويكرّرها ، ويقطعُ ذلك الوقت كلّه ، أعني من الفجر الى ارتفاع الشمس في تكرير تلاوتها . ففكّرتُ في ذلك لِمَ قد لزم هذه السورة دون / غيرها . فبان لي ، والله أعلم ، أنّ قصده بذلك أن يجمع بتلاوتها[3] حينئذ بين ما ورد في الأحاديث وما ذكره العلماء : هل يستحبّ[4] تقديم الأذكار الواردة على تلاوة القرآن أو العكس ؟ فرأى رضي الله عنه أنّ في الفاتحة وتكرارها حينئذ جَمْعاً

/ب)

(١) ل : « أدبه » .

(٢) ل : « كثير » خطأ .

(٣) ل : « تلاوتها » .

(٤) ل : « يستحبّ حينئذ .. » .

بين القَوْلين[1] ، وتحصيلاً للفضيلَتَيْن . وهذا من قوّة فطنته وثاقب بصيرته .

ثم إنه كان يركع ، فإذا أراد سماع حديثٍ في مكانٍ آخرَ سارع اليه من[2] فَوْره ، مع مَنْ يصحبه . فقَلَّ أن يراه أحدٌ ممن له بصيرة إلاّ وانكبَّ على يديْه فيقبّلهما ، حتى إنه كان إذا رآه أربابُ المعايش يتخبّطون من حوانيتهم للسلام عليه والتبرّك به ، وهو مع هذا يُعطي كُلاًّ منهم نصيباً وافراً من السلام وغيره، وإذا رأى منكراً في طريقه أزاله ، أو سمع بجنازة سارع الى الصلاة عليها ، أو تأسّف على فواتها ، وربّما ذهب الى قبر صاحبها بعد فراغه من سماع الحديث ، فصلّى عليه . ثم يعود[3] الى مسجده ، فلا يزالُ تارةً في إفتاء الناس ، وتارةً في قضاء حوائجهم حتى يُصلّي الظهر من الجماعة ، ثم كذلك بقيّة يومه .

وكان مجلسُه عامّاً للكبير والصغير ، والجليل والحقير ، والحرّ والعبد ، والذكر والأنثى . قد وسع كلّ من يَرِدُ عليه من الناس . يرى كلٌّ منهم في نفسه أن لم يكرم أحداً بقدره . ثم يصلّي المغرب ، ثم يتطوّع بما يَسّرَه الله . ثم أقرأُ عليه من مؤلّفاته أنا[4] أو غيري ، فيُفِيدُنا بالطرائف ، ويمدُّنا باللطائف ، حتى يُصلّي العشاء ثم بعدها كما كنّا وكان : من الإقبال على العلوم الى أن يذهب هَوِيٌّ[5] من الليل طويل . وهو في خلال ذلك كلّه ، في النهار والليل ، لا يزالُ يذكرُ الله تعالى ويوحّدُه / ، ويستغفرُه .

(١) ل : « القيلين » .

(٢) ل : « في فوره » .

(٣) ل : « يرد » .

(٤) ساقطة من ل .

(٥) في القاموس : « هَوِيّ ، كغنيّ ويُضمّ ، من الليل : ساعةٌ » .

وكان رضي الله عنه كثيراً ما[1] يرفعُ طَرْفَه الى السماء ، لا يكادُ يفترُ عن ذلك ، كأنّه يرى شيئاً يثبته بنظره . فكان هذا دأبه مـدةَ إقامتي بحضرته . فسبحان الله ما أقْصَرَ ما كانت ! يا ليْتَها[2] كانت طالت . ما مرَّ على عمري الى الآن زمانٌ كان أحبَّ إليَّ من ذلك الحين ، ولا رأيتُني في وقتٍ أحسن حالاً منّي حينئذ ، وما كان إلاّ ببركة الشيخ رضي الله عنه .

وكان في كلّ أسبوع يعودُ المرضى ، خصوصاً الذين بالمارستان[3] . وأخبرني غير واحد ممن لا يُشكُّ في عدالته أنّ جميع زمن الشيخ ينقضي على ما رأيتُه . فأيُّ عبادة واجتهاد أفضلُ من ذلك ؟ فسبحان الموفّق من يشاء لما[4] يشاء .

(١) ساقطة من ل .

(٢) ل : « يا ليلتها » خطأ .

(٣) هو بيمارستان نور الدين محمود بن زنكي الذي بناه بدمشق . انظر عنه كتابنا : بيمارستان نور الدين ..

(٤) ل : « لمن » خطأ .

الفصل الخامس

في ذكر بعض ورعه

كان رضي الله عنه في[1] الغاية التي ينتهي اليها في الورع . لأنَّ الله تعالى أجراه مدة عمره كلّها عليه . فإنه ما خالط الناس في بَيْع ولا شراء ولا معاملة ، ولا تجارة ، ولا مُشاركة ، ولا زراعة ، ولا عمارة . ولا كان ناظراً مُباشراً لمال وقف ، ولم يكن يقبل جراية ولا صِلَةً لنفسه من سلطان ولا أمير ولا تاجر ، ولا كان مُدَّخِراً ديناراً ولا درْهماً ولا مَتاعاً ولا طعاماً ، وإنما كانت بضاعتُه مدّة حياته ، وميراثه بعد وفاته ، رضي الله عنه ، العلمَ . اقتداءً بسيّد المرسلين وخاتم النبيّين محمد صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه أجمعين ، فإنه قال : « إنّ العلماءَ وَرَثَةُ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورَّثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظٍ وافر . »[2] .

وكان ينبّه العاقل بحسن الملاطفة ورقيق[3] المخاطبة ليختار لنفسه طريقتهم ، ويسلك سبيلهم . وإن كان دونها من الطرائق من اتخاذ

---

(١) ل : « من » خطأ .

(٢) رواه البخاري . ونصّه « وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وَرّثوا العلم ، من أخذه أخذ بحظٍ وافر ... » (كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل) .

(٣) ل : « دقيق » .

ب) المباحات جائز ، لكنّ العاقل يدلّه عقله/على طلب الأعلى . فانظر بعين الانصاف الى ما وَفَّق الله له هذا الامام وأجرى ، مما أقعد عنه غيره وخذله عن طلبه ، لكنْ لكلّ شيء سَبَب ، وعلامةُ عدم التوفيق سلبُ الأسباب . ومن أعظم الأسباب لترك فضول الدنيا التخلّي عن غير الضروري منها ، فلما وفّق الله هذا الإمام لرفْضِ غير الضروريّ منها انصبّتْ عليه العواطف الالهية فحصل بها كلّ فضيلة جليلة ، بخلاف غيره من علماء الدنيا ، مختاريها وطالبيها والساعين لتحصيلها ، فإنّهم لمّا اختاروا ملاذّها وزينتَها ورياستها انسدّت عليهم غالباً طُرُق الرشاد فوقعوا[1] في شركها يخبطون خَبْط عشواء ، ويحطبونها كحاطب ليْلٍ ، لا يُبالون ما يأكلون ولا ما يلبسون ولا ما يتأوّلون إلاّ[2] ما يحصّل لهم اغراضهم الدنيئة[3] ومقاصدهم الخبيثة[4] الخسيسة ، فهم متعاضدون على طَلَبها مُتحاسدون بسببها ، أجسامُهم ميتة ، وقلوبهم من غيرها فارغة ، وظواهرهم مزخرفة معمورة ، وقلوبهم خَرِبَةٌ مأبورة[5] . ولم يَكْفِهم ما هم عليه حتى أصبحوا قالِين رافضها ، مُعادين باغضها . ولمّا رأوا هذا الإمام عالم الآخرة ، تاركاً ما[6] هُمْ عليه من تحصيل الحُطام من المشتبه[7] الحرام ، رافضاً الفضل المُباح فَضْلاً عن الحرام ، تحقّقوا أنّ أحواله تَفْضَحُ أحوالهم وتوضِحُ خَفِيَّ انفعالهم ، وأخذتْهم الغيرةُ

---

(١) ل : « مسوئوا » .

(٢) ل : « يحصل لهم » .

(٣) ل : « الدنية » .

(٤) في الأصل « الخبيئة » .

(٥) كذا في النسخ . ولعلها من البؤرة وهي الحفرة .

(٦) ل : « لما » .

(٧) ل : « الشبه » .

النفسانيّةُ على صفاتهم الشيطانيّة ، المُباينة لصفاته الروحانيّة . فحرصوا على الفتكِ به أيْن ما وُجدوا ، وأُنْسوا أنهم ثعالب وهو أسد . فحماه الله تعالى منهم بحراسته ، وصنع له غير مرّة كما صَنَع لخاصّته ، وحفظه مُدَّة حياته وحماه ، ونشر له / عند وفاته علماً في الأقطار بما والاه .

آ)

الفصل السادس

في ذكر بعض زُهده وتجرّده وتقاعده عن الدنيا وتبعّده

أمّا زهدُه في الدنيا ومتاعها . فإنّ الله تعالى جعل ذلك له شعاراً من صِغَره . حدّثني مَنْ أثقُ به عن شيخه الذي علّمه القرآن المجيد قال : قال لي أبوه وهو صبيٌّ ـ يعني الشيخ ـ : أحبُّ اليك أن[1] توصيه وتَعِــدَه بأنك[2] إذا[3] لم تنقطع عن القراءة والتلقين أدفع إليك كلّ شهر أربعين درهماً . قال : ودفع إليّ أربعين درهماً . وقال : أعطه إيّاها ، فإنّه صغير وربّما يفرحُ بها فيزداد حرصه على[4] الاشتغال بحفظ القرآن ودرسه ، وقُلْ له : لك في كلّ شهر مثلها . فامتنع من قبولها وقال : يا سيّدي ، إنّي عاهدتُ الله تعالى أنْ لا آخذ على القرآن أجراً . ولم يأخذها . فرأيتُ أنّ هذا لا يقع من صبيٍّ إلاّ لِما لله فيه من العناية .

قلتُ : وصَدَق شيخُه ، فإنّ عناية الله هي التي أوْصَلَتْه الى ما وصل من كلِّ خيْرٍ من صِغَرِه . ولقد اتّفق كلُّ مَنْ رآه ، خصوصاً مَنْ أطال

---

(١) ساقطة من « ل » .

(٢) مكرّرة من « ل » .

(٣) ساقطة من « ل » .

(٤) في « ل » : « حرصه في الاشتغال » .

ملازمته ، أنّه ما رأى مثله في زهده[1] في الدنيا ، حتى لقد صار ذلك مشهوراً بحيث قد استقرّ في قلب القريب والبعيد من كل مَنْ سمع بصفاته على وجهها .بل لو سُئل عاميٌّ من أهل بلدٍ بعيد من الشيخ : مَنْ كان أزهدَ أهل هذا العصر ، وأكملهم[2] في رفض فضول الدنيا ، وأحرصهم على طلب الآخرة ، لقال : ما سمعتُ بمثل ابن تيمية . وما اشتهر له ذلك إلاّ لمبالغته فيه ، مع تصحيح النيّة . وإلاّ فَمَنْ رأينا من العلماء قنع من الدنيا بمثل ما قنع هو منها أو رضيَ بمثل حالته التي كان عليها ؟ لم يُسمع أنه رغب في زوجةٍ حسناء ولا سرِيّة[3] حوراء ، /ولا دار قَوْراء ، ولا جَوار ، ولا بساتين ولا عِقار ، ولا شَدّ على دينار ولا درهم ، ولا رغب في دوابّ ولا نَعَم ، ولا ثياب ناعمة فاخرة ، ولا حَشَم ، ولا زاحم في طلب الرياسات ، ولا رآءى ساعياً في تحصيل المُباحات ، مع أنّ الملوك والأمراء ، والتجّار والكبار كانوا طَوْع أمره ، خاضعين لقَوْله وفعله ، وادّين أن يتقرّبوا الى قلبه مهما أمكنهم ، مُظْهرين لإجلاله ، أو انْ يؤهل كلاً منهم في بذل ماله . فأيْن حاله هذه من أحوال بعض المنتسبين الى العلم وليسوا من أهله ممن قد أغراه الشيطانُ بالوقيعة فيه ، بقوله وفعله ؟ أتُرى ما نَظَرُوا ببصائرهم الى صفاتهم وصفاته ، وسماتهم وسماته ، وتحاسدِهم في طلب الدنيا وفراغه عنها ، وتحاشدهم في الاستكثار منها ، ومبالغته في الهرب منها ، وخدمتهم الأمراء واختلافهم الى أبوابهم وذلّ الأمراء بين يديه وعدم اكتراثه بكبرائهم وأترابهم

(١) في « ل » : « الزهد » .
(٢) ل : « واكحلهم » خطأ .
(٣) ل : « ولا سراية » خطأ .

ومداجاتهم[1] وتعبداتهم[2] ، وصَدْعه إيّاهم بالحق ، وقوّة جأشه في محاورتهم[3] ؟ بلى والله ! ولكن قتلتْهمُ الحالقة ، حالقةُ الدين لا حالقةُ الشعر ، وغطّى على أحلامهم حبٌّ الدنيا السارقة ، سارقة العقل لا سارقة البَدَن ، حتى أصبحوا قاطعين مَنْ يأتيهم في طلبها ، واصلين مَنْ واصلهم في جَلْبها .

(١) ل : « مداحاتهم » والمداجاة : المداراة .
(٢) كذا في الأصلين .
(٣) ل : « محاراتهم » .

الفصل السابع

في إيثاره مع فقره ، وتواضعه

كان رضيَ الله عنه مع شدّة تركه للدنيا ورفْضِه لها وفَقْره فيها ، وتقلّله منها ، مُؤثراً بما عساه يجده منها ، قليلاً كان أو كثيراً ، جليلاً أو حقيراً ، لا يحتقرُ القليل فيمنعه ذلك عن التصدّق به ، ولا الكثير فيصرفُه النظرُ اليه / عن الإسعاف به . فقد[1] كان يتصَدّقُ ، حتى إذا لم يجدْ شيئاً نَزَعَ بعضَ ثيابه ، مما يحتاج اليه[2] فيصل به الفقير . وكان يَسْتَفْضِلُ من قوته القليل الرغيفَ والرغيفَيْنِ فيؤثر بذلك على نفسه ، وربّما خبأهما في كمّه ويمضي ونحن معه لسماع الحديث ، فيراه بعضُنا وقد دفعه الى الفقير مُسْتَخْفِياً ، يحرص أن لا يراه أحدٌ . وكان إذا ورد[3] عليه فقيرٌ وآثر المقام عنده يُؤْثره عند الأكل بالأكثر[4] من قوته الذي جُعل برسمه .

حدّثني الشيخُ الصالحُ العارفُ زينُ الدين عليّ الواسطيّ ما معناه : أنّه أقام بحضرة الشيخ مدّة طويلة . قال : فكان قوتنا في غالبها أنه كان

(١) في « ل » : « قد » .

(٢) في « ل » : « ثيابه المحتاج اليه » .

(٣) في « ل » : « اورد » .

(٤) في « ل » : « بأكثر من قوته » .

في بُكرةِ النهار يأتيني ومعه قدر نصف رطل خبزاً[1] بالعراقي ، فيكسره بيده لُقَماً ونأكُل منه أنا وهو جميعاً ، ثم يرفع يده قَبْلي ، ولا يفرغ باقي القُرْص من بين يديّ حتى أشبع ، بحيثُ أنّي لا أحتاجُ الى الطعام الى الليل . وكنتُ أرى ذلك من بركة الشيخ . ثم يَبْقى الى[2] بعد العشاء الآخرة حتى يفرَغ من جميع عوائده التي يفيدُ الناسَ بها في كلّ يوم من أصناف القُرَب . فيؤتى بعشائنا ، فيأكل هو معي لُقَيْمات ، ثم يؤثرني بالباقي . وكنتُ أسأله أن يزيدَ على أكْلِه فلا يفعل ، حتى إنّي كنتُ في نفسي اتوجّــعُ له من قلّة أكله . وكان هذا رأيُنا في غالب مدّة إقامتي عنده وما رأيتُ نفسي أغني منها في تلك المدّة ، ولا رأيتُني أفقر[3] همّاً مني فيها .

وحكى غيرُ واحد ما اشتهر عنه من كثرة الإيثار ، وتفقّد المحتاجين والغُرَباء ، ورقيقي الحال من الفُقهاء والقُرّاء ، واجتهاده في مصالحهم وصِلاتهم ، ومساعدته لهم . بل لكلّ أحدٍ من العامّةِ والخاصّة ممن يمكنه فعل الخير معه ، وإسداء / المعروف اليه بقوله وفِعْله ، ووجهه وجاهه . (١ ب)

وأمّا تواضعه فما رأيتُ ولا سمعتُ بأحدٍ من أهل عصره مثله في ذلك ، كان يتواضع للكبير والصغير ، والجليل والحقير ، والغنيّ الصالح والفقير . وكان يُدْني الفقيرَ الصالح ويُكرمُه ويؤنسه ويُباسطه بحديثه المستحلى زيادة على مثله من الأغنياء ، حتى إنّه ربما خدمه بنفسه ، وأعانه بحَمْل حاجته ، جَبْراً لقَلْبه ، وتقرُّباً بذلك الى ربّه .

وكان لا يسأمُ ممّن[4] يَسْتَفْتِيه أو يسأله ، بل يُقبل عليه ببشارة

(١) ساقطة من « ل » .
(٢) في « ل » : « ثم يبقى ولي بعد .. » .
(٣) في « ل » : اجمع » .
(٤) في « ل » : « من » .

وجْه ولين عريكة[1] ، ويقفُ معه حتى يكون هو الذي يُفارقه ، كبيراً كان أو صغيراً ، رجلاً أو امرأةً ، حُرّاً أو عبْداً ، عالماً أو عامِيّاً . حاضراً أو بادياً[2] ، ولا يجبهه ولا يُحرِجهُ ولا يُنفِّرُه بكلام يوحشُه ، بل يُجيبُه ويُفهِّمُهُ ويُعَرِّفُه الخطأَ من الصواب ، بلطف وانبساط .

وكان يلزم التواضع في حضوره مع النّاس ومغيبه عنهم ، في قيامه وقعوده ، ومَشْيه ومجلسه ، ومجلس غيره .

ولقد بالغ معي حال إقامتي بحضرته في التواضع والإكرام حتى إنه لا يذكرني باسمي ، بل يُلَقِّبني بأحسن الألقاب ، ويُظهِرُ لي خصوصاً بين أصحابي من الإكرام والتبجيل والإدناء[3] منه ، بحيث لا يتركني أجلس إلاّ الى جانبه ، قصيراً كان مجلسُه أو طويلاً ، خاصّاً أو عامّاً . ولازمني في حال قراءتي « صحيح البخاري » . وكان قَصْدي قراءته على راويه[4] منفرداً ، لاستصغاري نفسي عن القراءة هُناك بمحضر من الناس ، ولقصدي تعجيل فراغي منه انتهازاً للفُرْصَة . وخَوْفاً من فوات ذلك الشيخ الراوي لكونه تفرّد بروايته سماعاً على أصحاب أبي الوقت السجــزي . فلما سمع الشيخ بذلك ألزمني/ قراءته بمجْمَع كثير من الناس رجالاً ونساءً ، وصبياناً . وقال : ما ينبغي إلاّ على صِفةٍ يكون نفعُها متعدياً[5] الى المسلمين . فتجرّد لي بحيث حصل لي مُرادي وفوقه من تحصيل قراءتي له في عشرين مجلساً متوالية ، لم يتخللها

---

(١) في « ل » : « معركة » .

(٢) في « ل » : « بادٍ » .

(٣) ل : « الأدنى » .

(٤) ل : « زاوية » .

(٥) ل : « متعد » .

سوى الجمعة . ولازمني[1] فيها ، وحضر القراءة كلّها يضبطها بنسخة كانت بيده هي أصلُ ابن ناصر الحافظ[2] يُعارض بها نسخة القراءة ، وكانت أصلَ الشيخ المُسْمع . وأظهر لي من حسن الأخلاق والمبالغة في التواضع بحيث أنه كان[3] إذا خرجنا من منزله بقصد[4] القراءة يحمل هو بنفسه النسخة ولا يَدَعُ أحداً منّا يحملها عنه . وكنتُ أعتذرُ اليه من ذلك خَوْفاً من سوء الأدب ، فيقول : لو حملتُه على رأسي لكان ينبغي . ألا أحمل ما فيه كلامُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ؟

وكان يجلس تحت الكرسي ويَدَعُ صَدْر المجالس ، حتى إنّي لأستحي من مجلسه هناك ، وأعجب من شدّة تواضعه ، ومبالغته في إكرامي بما لا أستحق وتقديمي[5] عليه في المجلس . ولولا قراءتي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعِظَم حُرْمتها لما كان ينبغي لي ذلك . وكان هذا حاله في التواضع والتنازل والإكرام لكلّ مَنْ يَرِدُ عليه ، أو يصحبه ، أو يلقاه . حتى إنّ كلّ مَنْ لقيه يحكي عنه من المبالغة في التواضع نحواً مما حكيتُه وأكثر من ذلك . فسبحان مَنْ وفّقه وأعطاه ، وأجراه على خلال الخير وأمضاه[6] .

---

(١) ل : « ولا لازمني » .

(٢) ذكر ابن ناصر الدين أن المؤلّف البزّار رحمه الله قرأ صحيح البخاري على الحجّار بمدرسة شرف الاسلام ابن الحنبلي بدمشق ، وحضره خلق منهم الشيخ تقيّ الدين ابن تيمية وصحبه . (انظر الرد الوافر ، ص ١١٧) .

(٣) ل : « بحيث انه اذا كان اذا خرجنا .. » .

(٤) ل : « ليقصد » .

(٥) ل : « رفعي » .

(٦) كذا في أصلنا ، وفي « ل » : وأعطاه .

الفصل الثامن

في هيئته ولباسه

كان رضي الله عنه متوسطاً في لباسه وهيئته ، لا يلبس فاخر الثياب بحيثُ يُرْمق ويمدّ اليه النظر فيها ، ولا أطماراً ، ولا غليظةً تُشهر حال لابسها ويُميَّز من عامّة الناس بصفةٍ خاصة يراه الناسُ فيها[1] . بل كان لباسُه وهيئتُه كغالب الناس ومتوسّطهم . ولم يكن يلزم نوعاً واحداً من اللباس فلا يَلْبَسُ غيرُه / . كان يلبس ما اتفق وحصل ويأكل ما حضر . وكانت[2] بذاذة الايمان عليه ظاهرة . لا يُرَى مُتَصَنِّعاً في عمامة[3] ولا لباس ولا مِشية ولا قيام ولا جلوس ، ولا يتهيّأ لأحدٍ يلقاه ، ولا لِمَنْ يَرِدُ عليه من بلد .

ومن العجب أنّي كنتُ قد رأيتُه قبل لُقيِّه بمدّةٍ فيما يرى النائم ، ونحن جلوس نأكلُ طعاماً على صفة[4] مُعيّنة . فحالَ لقائي[5] له ودخولي عليه وجدتُه يأكلُ مثل ذلك الطعام على نحوٍ من الصفة التي رأيت .

---

(١) في « ل » زيادة : « يراه الناس فيها من عالم وعابد » .

(٢) ل : « وكانت ما حضر وكانت ... »

(٣) قوله « في عمامة » مكرّرة في « ل » .

(٤) ل : « صنعة » .

(٥) ل : « لقي » .

فأجلسني ، وأكلنا جميعاً كما رأيتُ في المنام .

وأخبرني غيرُ واحد أنّه ما رآه ولا سمع أنّه طلب طعاماً قطُّ ولا غداء ولا عشاءً ولو بقي مهما بقي لشدّة اشتغاله بما هو فيه من العلم والعمل ، بل كان يُؤْتي بالطعام ، وربّما يُتركُ عنده زماناً حتى يلتفت اليه . وإذا أكل أكلَ شيئاً يسيراً . قال : وما رأيناه يذكر شيئاً من ملاذّ الدنيا ونعيمها ، ولا كان يخوضُ في شيءٍ من حديثها ، ولا يُسألُ عن شيءٍ من معيشتها ، بل جُلُّ همّته وحديثه في طلب الآخرة ، وما يُقرِّبُ الى الله تعالى .

وهكذا كان في لباسه . لم يُسمع أنه أمر أن يُتَّخَذَ له ثوبٌ بعينه ، بل كان أهله يأتون بلباسه وَقْت علمهم باحتياجه الى بدل ثيابه التي عليه . وربّما بقيت عليه مدّةً حتى تَتّسِخَ ولا يأمرُ بغسلها حتى يكونَ أهله هم الذين يسألونه ذلك .

وأخبر أخوه الذي كان ينظر في مصالحه الدنيويّة أنّ هذا حاله في طعامه وشرابه ولباسه وما يحتاج اليه ممّا لا بُدَّ منه من أمور الدنيا . وما رأيْتُ أحداً كان أشَدَّ تعظيماً للشيخ من أخيه هذا ، أعني القائم بأوده . وكان يجلس بحضرته كأنّ على رأسه الطيرْ ، وكان يهابُه كما يهاب سلطاناً .وكنا نعجب منه في ذلك ونقول له إنّ[1] من العرف والعادة أنّ أهل الرجل لا يحتشمونه كالأجانب ، بل يكون انبساطهم معه فضلاً عن الأجنبيّ ، ونحن نراك مع الشيخ /كتلميذٍ مبالغ في احتشامه (١٣ آ) واحترامه . فيقول : إنّي أرى منه أشياء لا يراها غيري ، أوْجَبَتْ أنْ أكونَ معه ما ترون . وكان يُسْأَلُ عن ذلك فلا يذكر منه شيئاً لِما يعلمُ من عدم إيثار الشيخ لذلك .

(١) ل : « ونقول من العرف والعادة » سقط « له إنّ » .

الفصل التاسع

في ذكر بعض كرامته وفراسته

أخبرني غير واحد من الثقات ببعض ما شاهده من كراماته . وأنا أذكرُ بعضها على سبيل الاختصار . وأبدأ من ذلك ببعض ما شاهدتُه .

فمنها أنّه[1] جرى بيني وبين بعض الفضلاء مُنازعة في عدّة مسائل ، وطال كلامُنا فيها ، وجعلنا نقطع الكلام في كلّ مسألة بأن[2] نرجع الى الشيخ وما يُرجِّحُه من القوْل فيها . ثم إنّ الشيخ رضي الله عنه حَضَرَ . فلما هَمَمْنا بسؤاله عن ذلك سَبَقَنَا هو وشَرَع يذكرُ لنا مسألةً مسألةً كما كنّا فيه . وجعل يذكرُ غالب ما أوردناه في كلّ مسألة ، ويذكر أقوالَ العلماء ، ثم يُرَجِّحُ منها ما يُرجِّحُه الدليلُ حتى أتى على آخر ما أردْنا أنْ نسألَ عنه ، وبيَّن لنا ما قَصَدْنا أن نستعمله منه . فبقيتُ أنا وصاحبي ومَنْ حَضَرَنا[3] مبهوتين متعجّبين ممّا كاشَفَنا به وأظهره الله عليه ممّا كان في خواطرنا .

وكنتُ في خِلالِ الأيّام التي صحبتُه فيها إذا بحث مسألةً يحضُرُ لي إيرادٌ ، فَمَا يستَتِمُّ خاطري به حتى يشرعَ فيوردُه ويذكر الجواب

(١) ل : « أنني » .

(٢) ل : « بأنا » .

(٣) في « ل » زيادة : « حضرنا أولا مبهوتين » .

من عِدّة وجوه .

وحدّثني الشيخُ الصالحُ المقريءُ أحمد بن الحريمي أنّه سافر الى دمشق . قال : فاتفق أنّي لمّا قدمتُها لم يكن معي شيءٌ من النفقة البتّةَ ، وأنا لا أعرفُ أحداً من أهلها . فجعلتُ أمشي في زُقاقٍ منها كالحائر ، فإذا بشيْخٍ قدأقبل نحوي مُسْرعاً فسَلَّم . وهَشَّ في وجهي ، ووضع في يدي صُرَّة فيها دراهم صالحة ، وقال لي : انْفِقْ هذه الآن فيما[1] أنتَ فيه ، فإنّ الله لا يضيّعُكَ . ثم رُدَّ على أثره كأنّه ما جاء إلاّ من أجلي . فدعَوْتُ له وفَرِحتُ بذلك ، وقلتُ لبعض مَنْ رأيتُه من الناس : مَنْ هذا / الشيخ ؟ فقال : وكأنّك لا تعرفُه ، هذا ابنُ تيمية ، لي مدّة طويلة لم أرَه اجتاز بهذا الدرْب . وكان جلُّ قَصْدي من سَفري الى دمشق لقاءه . فتحقّقْتُ أنّ الله أظهره عليّ وعلى حالي ، فما احتجتُ بعدها الى أحدٍ مدّة إقامتي بدمشق ، بل فتح الله عليّ من حيثُ لا أحتسِب . واستدْلَلْتُ فيما بعد عليه وقَصَدْتُ زيارته والسلام عليه ، فكان يُكرمُني ويسألُني عن حالي ، فأحمد الله تعالى اليه .

وحدّثني الشيخُ العالم المقريء تقيّ الدين عبدالله ابن الشيخ الصالح المقريء أحمد بن سعيد قال : سافرتُ الى مصر حين كان الشيخُ مقيماً بها . فاتّفَقَ أنّي قدمتُها ليْلاً وأنا مُثْقَلٌ مريض . فأُنْزِلْتُ في بعض الأمكنة ، فلم ألبث أنْ سمعتُ مَنْ يُنادي باسمي وكُنيتي . فأجبتُه وأنا ضعيف . فدخل إليّ جماعةٌ من أصحاب الشيخ ممّن كنتُ قد اجتمعْتُ ببعضهم في دمشق . فقلتُ : كيْفَ عَرَفْتُم بقدومي ، وأنا قدمتُ هذه الساعة ؟ فذكروا أنّ الشيخ أخبرنا أنّك قدمتَ وأنتَ مريض . وأمَرَنا أن نُسْرِع بنقلِك . وما رأينا أحداً جاء ، ولا أخبرنا بشيءٍ . فعلمتُ أنّ ذلك من

(١) ل : « مما » .

كرامات الشيخ رضي الله عنه .

وحدّثني أيضاً قال : مَرِضْتُ بدمشق إذْ كنتُ بها مَرْضَةً شديدة منعتْني حتى من الجلوس ، فلم أشعر إلاّ والشيخُ عند رأسي وأنا مُثْقَلٌ بالحُمّى والمَرَض . فدعا لي وقال : جاءت العافية . فما هو إلاّ أنْ فارقني وجاءت العافيةُ وشُفيت من وقتي .

وحدّثني أيضاً : قد كنتُ استكتب شعراً لبعض مَن انحرفَ عن الشيخ قد تنقّصه[1] فيه . وكان سبب قوله ذلك الشعر أنّه نُسِبَ الى قائله شعرٌ وكلامٌ يدلُّ على الرفْض . فأُخذ الرجلُ وأُثبتَ ذلكَ عليه في وجهه عند حاكم من حُكّام الشرع المُطَهّر . فأمر به فشُهّر حاله بين الناس ، فتوهّم أنّ الذي كان سبب ذلك الشيخ . فحمله / ذلك على أنْ قال فيه ذلك الشعر . وبقي عندي . وكنتُ ربما أورد بعضه في بعض الأحيان ، فوقعتُ في عدّة أشياء من المكروه[2] والخوف متواترة . ولولا لطفُ الله تعالى بي فيها لأَتَتْ على نفسي . فنظَرْتُ من أين دُهِيتُ . فلم أرَ لذلك سبباً إلا إيرادي لبعض ذلك الشعر . فعاهدتُ الله أن لا أنوه بشيءٍ منه . فزال عني أكثر ما كنتُ فيه من المكاره ، وبقيَ بعضُه . وكان ذلك الشعرُ عندي ، فأخذتُه وحرقتُه وغسلتُه ، حتى لم يَبْقَ له أثر ، واستغفرْتُ الله تعالى من ذلك ، فأذهب الله عني جميع ما كنتُ فيه من المكروه والخوف ، وأبدلني الله به عكسه . ولم أزلْ بعد ذلك في خَيْرٍ وعافية . ورأيتُ ذلك حالاً من أحوال الشيخ ومن كرامته على الله .

وحدّثني أيضاً قال : أخبرني الشيخُ ابن عماد الدين المقرىء المطرّز

---

(١) ل : « قد ينقصه » .

(٢) ل : « المكرورة » .

قال : قدمتُ على الشيخ ومعي حينئذٍ نَفَقَة . فسلّمتْ عليه ، فردّ عليّ ورحّب بي ، وأدناني ولم يسألني هل معك نفقة أم لا . فلما كان بعد أيّام وقد نفدت نفقتي / أردتُ أنْ أخرجَ من مجلسه بعد أنْ صَلّيْت مع الناس وراءه ، فمنعني [1] وأجلسني دونهم . فلما خلا المجلس [2] دفع اليَّ جملة دراهم ، وقال : أنتَ الآن بغير نفقة ، فارتفِقْ بهذه . فعجبتُ من ذلك ، وعلمتُ أنّ الله كَشَفَه على حالي أوّلاً لمّا كان معي نفقة ، وآخراً لمّا نَفَدَتْ واحتجت الى نَفَقَة .

وحدّثني مَنْ لا أتّهمُه أنّ الشيخ رضيَ الله عنه حين نَزَل المُغْل بالشام لأخذ دمشق وغيرها [3] . رجف [4] أهلُها وخافوا خَوْفاً شديداً . وجاء اليه جماعةٌ منهم وسألوه الدُعاء للمسلمين . فتوجّه الى الله ، ثم قال : أبشروا . فإنّ الله يأتيكم بالنّصْر في اليوم الفُلاني بعد ثالثة ، حتى ترون الرؤوس معبّأة بعضُها فوقَ بعض . قال الذي حدّثني : فوالذي نفسي بيده ، أو كما حلفَ ، ما مضى إلاّ ثلاثٌ مثل قوله حتى رأينا رؤوسهم كما قال الشيخ / ، على ظاهر دمشق ، معبّأة بعضُها فوقَ بعض [5] .

وحدّثني الشيخ الصالح الوَرِعُ عثمان بن احمد بن [6] عيسى النسّاج أنّ الشيخ رضي الله عنه كان يعود المرضى بالبيمارستان [7] بدمشق ،

---

(١) ل : « منعني » .

(٢) ل : « رفع » .

(٣) كان ذلك في سنة ٦٩٩هـ. انظر تفاصيل مجيء التتار الى دمشق في البداية لابن كثير ١٤ ـ ٧ وما بعدها .

(٤) ل : « رجفوا » .

(٥) لم أجد أحداً من المؤرخين ذكر ذلك .

(٦) ساقطة من ل .

(٧) هو بيمارستان نور الدين محمود بن زنكي بدمشق . مرّ ذكره في الصفحة ٤٠ .

في كلّ يوم[1] . فجاء على عادته فعادَهم . فوصَلَ الى شابّ منهم فدعا له ، فشُفي سريعاً ، وجاء الى الشيخ يقصُدُ السلام عليه . فلما رآه هَشَّ له وأدناه ، ثم دفع اليه نفقة وقال : قد شفاك الله . فعاهد الله[2] أن تعجِّل الرجوع الى بلدك . أيجوز أن تترك زوجتك وبَنَاتٍ لَكَ أربعاً بلا نفقة[3] وتُقيم ها هنا . فقال الفتى[4] : فقبّلْتُ يده وقلتُ يا سيّدي أنا تائب[5] إلى الله على يدك . وعجبْتُ مما كاشفني به . وكنتُ قد تركتُهم بلا نفقة ، ولم يكن قد عرف بحالي أحدٌ من أهل دمشق .

وحدّثني مَنْ أثق به أنّ الشيخ رضيَ الله عنه أُخبر عن بعض القُضاة أنّه قد مضى متوجّهاً الى مصر المحروسة ليُقلَّد القضاء . وأنّه سمعه يقولُ : حالَ ما أصلُ الى البلد قاضياً أحكم بقتْل فلان ، رجلٍ معيّن من فضلاء أهل العلم والدين ، قد أجمع الناسُ على علمه وزُهده وورعه . ولكن حصل في قلب القاضي منه من الشحناء والعداوة ما صوّب له الحكم بقتله . فعظُم ذلك على مَنْ سمعه خوفاً من وقوع ما عَزَم عليه من القتل بمثل هذا الرجل الصالح وحَـذَراً على القاضي أن يوقعه الهوى والشيْطان في ذلك ، فيَلْقى الله مُتلبّساً بدمٍ حرام ، وفَتْكٍ بمسلمٍ معصوم الدم بيقين ، وكرهوا وقوعَ مثل ذلك لِما فيه من عظيم المفاسد . فأُبلغ الشيخ رضي الله عنه هذا الخبر بصفته . فقال : إنّ الله لا يُمكِّنه مما قصد ، ولا يصل الى مصر حيّاً . فبقي بين القاضي وبين مصر قدرٌ يسيرٌ ، وأدركه الموت . فمات قبل وصولها كما أجرى

(١) ل : « كل أيام » .

(٢) ل : « قد شفاك عاهد الله » .

(٣) ل : صنيعة .

(٤) قوله : « قال الفتى » ساقط من ل .

(٥) ل : « يا سيدي أنائب الى الله .. » خطأ .

الله تعالى على لسان الشيخ رضي الله عنه[1] .

قلتُ : وكرامات الشيخ ، رضيَ / الله عنه ، كثيرةٌ جدّاً ، لا يليقُ بهذا المختصر أكثر من ذكر هذا القدر منها . ومن أظهر كراماته أنه ما سُمع بأحدٍ عاداه أَّو غَضَّ منه إلاّ وابتُلِيَ بعدّة بلايا غالبُها في دينه . وهذا ظاهر مشهور لا يُحتاج فيه الى شرح صفته .

(١) تبيّن لي بعد البحث أنّ المقصود هنا هو القاضي كمال الدين ابن الزملكاني ، شيخ الشافعية بالشام وغيرها . فقد ذكره الحافظ ابن كثير في وفيات سنة ٧٢٧ ، وبعد أن بالغ في الثناء على علمه وفضله قال انه سار الى مصر ليتولّى قضاء قضاة الشام بحضرة السلطان ، فاتفق موته قبل وصوله الى القاهرة . ثم قال : وكان من نيته اذا رجع الى الشام متولّياً أن يؤذي شيخ الاسلام ابن تيمية . فدعا عليه . فلم يبلغ أمله ومراده . وتوفي في سحر يوم الأربعاء سادس عشر شهر رمضان بمدينة بلبيس ، وحمل الى القاهرة ، ودُفن بالقرافة (البداية ١٤/ص ١٢٩ و١٣٢) وقول ابن كثير لا يدلّ على أن ابن الزملكاني كان يريد قتل الشيخ .

الفصل العاشر

في ذكر كرمه رضيَ الله عنه

كان رضيَ الله عنه مجبولاً على الكَرَم ، لا يتطبعُه ولا يتصنّعه ، بل هوله سجيّةٌ . وقد ذكرتُ فيما تقدّم أنّه ما شدَّ على دينار ولا دِرْهم قطُّ ، بل كان مهما قدر على شيءٍ من ذلك يجودُ به كُلّه . وكان لا يردُّ مَنْ يسأُله شيئاً يقدرُ عليه من دراهم ولا دنانير ، ولا ثياب ولا كُتبٍ ، ولا غير ذلك ، بل ربّما كان يسأُله بعضُ الفقراء شيئاً من النفقة ، فإنْ كان حينئذٍ متعذّراً لا يَدَعه يذهبُ بلا شيءٍ ، بل كان يعمدُ الى شيءٍ من لباسه فيدفعه اليه . وكان ذلك المشهور عند الناس من حاله .

حدّثني الشيخُ العالم الفاضل المقريء أبو محمد عبدالله ابن الشيخ الصالح المقريء أحمد بن سعيد قال : كنتُ يوماً جالساً بحضرة شيخ الاسلام ابن تيميّة رضي الله عنه . فجاء انسانٌ فسلَّم عليه . فرآه الشيخ مُحتاجاً الى ما يعْتَمُّ به ، فنَزَع الشيخُ عمامتَه من غير أنْ يسأله الرجلُ ذلك فَقَطَعَهانِصْفَيْن ، واعتمَّ بنصفها ، ودفع النصفَ الآخر الى ذلك الرجل ، ولم يحتشم للحاضرين عنده .

قلتُ : وربّما توهّم بعضُ مَنْ يحتاجُ الى التفهيم أنّ هذا الفعل من الشيخ فيه إضاعة المال ، أو نوع من التبذّل الذي يشين المروءة ، وليس

الأمر كذلك . فإنّه لم يكن عنده حينئذٍ معلوم غير ثيابه . ورأى أنّ قَطْعَ العمامة من بقية لباسه ممّا يُفسِدُه ولا يحصل به المقصود . ولم يكن عليه ولا عنده حينئذٍ ثوْبٌ صحيح لا يحتاجُ اليه حتى يدفعَه اليه .
(ب) فسارعَ/ الى قَطْعِ ما يستَغْني ببعضه عن كُلِّه فيما وُضع له ، وهو العمامة . فنفع أخاه المسلم وسَدَّ حاجته حينئذٍ ببعضها ، واستغنى هو بباقيها . وهذا هو أكمل التصرُّف الصالح والرُشْد التام ، والجود المذكور المشهور ، والايثار بالميسور . وأمّا التبذّل الذي فيه نوع من إسقاط المروءة فليس من هذا القبيل في شيءٍ ، بل هذا من المبالغة في التواضع ، وعدم رؤية النفس في محلّ الاحتشام ، ورفض إرادة المرءِ تعظيم نفسه بحضرةِ الحاضرين . وهذه خِصالٌ محمودة مطلوبةٌ شَرْعاً وعقلاً .

وقد رُوي مثلُ ذلك عن سيِّد الأنَام وأكمل الخَلْق مروءةً وعقلاً وعلماً ، محمّد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أنه لبس يوماً شملةً سوداء لها حواشٍ بيض وخَرَج الى المسجد ، وجماعة من المسلمين حُضور . فرآه إنسانٌ فقال : يا رسول الله ! أعطِني هذه الشَمْلة . وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم لا يمنع سائلاً يسأله . فنزعها صلّى الله عليه وسلم عن كريمه المكرّم ودَفعها الى ذلك الرجل . وطفق الناس يلومون ذلك الرجل على ما فعل ، وكونه سأل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . وكان محتاجاً ، الى ما يلبس[1] ، وقد علم أنه صلّى الله عليه وسلم[2] لا يمنع شيئاً يُسأله . فقال الرجلُ معتذراً اليهم : إنّي لم أطلبها لألبسها[3] ، لكنْ لأجعلها لي كَفَناً عند موتي . قال الراوي : فأمسكها عنده حتى كانت

(١) ل : « الى لبسة » .
(٢) قوله « صلّى الله عليه وسلم » ساقط من ل .
(٣) ل : « لم أطلبها ألبسها » .

كَفَنَه . وهذا حديث مشهورٌ ، قد رواه غير واحد من الحفّاظ الثقات[1] ، وهو من أوضح الدليل على ما قلناه ، بل أبلغ في الجود والتواضع وكَسْر النَّفْس وكرم الأخلاق .

وحدّثني مَنْ أثِقُ به أنّ الشيخ رضيَ الله عنه كان مارّاً يوماً في بعض الأزقّة ، فدعا له بعضُ الفقراء ، وعَرَفَ الشيخ حاجته ، ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه ، فَنَزَع / ثوباً من على جلده ودَفعه اليه وقال : بِعْهُ بما تيسَّرَ وأنْفِقْه . واعتذر اليه من كوْنه لَم يكن معه[2] شيءٌ من النفقة .

وهذا أيضاً من المبالغة في عدم إكثاره بغير ما يُقرِّبُ الى الله تعالى ، وجوده بالميسور كائناً ما[3] كان . وهذا من أبلغ إخلاصِ العملِ لله سبحانه . فسبحان الموفّق مَنْ شاء لما شاء .

وحدّثني مَنْ أثِقُ به أيْضاً أنّ الشيخ رضي الله عنه كان لا يردُّ أحداً يسألُه شيئاً من[4] كتبه ، بل يأمره أن يأخذ هو بنفسه ما شاء منها . وأخبرني أنّه جاءه يوماً إنسانٌ فسأله كتاباً ينتفعُ به ، فأمره هو أن يأخذ بنفسه

(١) ل : « من الحفاظ والثقة » ، والحديث في البخاري ، في كتاب اللباس ، باب البرود والحبرة والشملة . ونصّه : « عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : جاءت امراة ببردة ، قالت : يا رسول الله ، إني نسجتُ هذي بيدي أكسوكها . فأخذها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم محتاجاً اليها . فخرج الينا ، وإنها لإزاره . فجسّها رجل من القوم ، فقال : يا رسول الله أكسنيها . فقال : نعم . فجلس ما شاء الله في المجلس ، ثم رجع فطواها ، ثم أرسل بها اليه . فقال له القوم : ما أحسنتَ ، سألتها إيّاه ، وقد عرفت أنه لا يردّ سائلاً . فقال الرجل : والله ما سألتها الاّ لتكون كفني يوم أموت . قال سهل : فكانت كفنه » .

(٢) ل : « من كونه لم يحضر عنده شيء .. » .

(٣) ل : « من » خطأ

(٤) ساقطة من ل .

ما شاء منها . وأخبرني أنّه جاءه يوماً انسان فسأله كتاباً ينتفع به ، فأمره أن يأخذ كتاباً يختاره[1] ، فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفاً قد اشتُرِي بدراهم كثيرة . فأخذه ومضى . فلام بعضُ الجماعة الشيخَ في ذلك . فقال : لا[2] يُحسن بي أن أمنعه بعد ما سأله . دَعْه ، فلينتفعْ به .

وكان الشيخُ يُنكر إنكاراً شديداً على من يُسألُ شيئاً من كتب العلم التي يملكها ويمنعها من السائل ويقولُ : ما ينبغي أن يُمنَع العلمُ ممّن يطلبُه .

ومن كرمه أنّه كان لا ينظر أبداً الى جهة الملك والتموّل .

وهذا القدر من كرمه يُغني المقتدي .

---

(١) ل « فأمره يأخذ كتاب يختاره » .

(٢) ساقطة في ل .

(٣)

الفصل الحادى عشر

في ذكر قوّة قلبه وشجاعته

كان رضي الله عنه من أشجع الناس وأقْواهم قلباً . ما رأيتُ أحداً أثْبَتَ جأشاً منه ، ولا أعظم عناء في جهاد العدوّ منه . كان يُجاهدَ في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ، ولا يخافُ في الله لؤمَةَ لائم .

أخبر غيرُ واحدٍ أنّ الشيخ رضيَ الله عنه كان إذا حَضَرَ مع عسكر المسلمين في جهاد يكونُ بينهم أوقَفَهم[1] وقطب ثباتهم . إنْ رأى من بعضهم هَلَعاً أو رقّةً وَجبانةً ، شجّعه وثبّته وبشّره ووَعَدَه بالنصْر / والظفر والغنيمة ، وبيّن له فَضْل الجهاد والمجاهدين ، وإنزال اللهِ عليهم السكينة . وكان إذا ركب الخَيْل يتحنّكُ ويجول في العدوّ كأعظمِ الشُجعان ، ويقوم كأثْبَتِ الفُرْسانِ ، ويكبِّرُ تكبيراً أنكى في العدوّ من كثير من الفَتْكِ بهم ، ويخوضُ فيهم خَوْض رَجُلٍ لا يخافُ الموت .

(١ ب)

وحدّثوا أنّهم رأوا منه في فتح عكّة[1] أموراً من الشجاعة يعجزُ الواصفُ[2] عن وصفها . قالوا : ولقد كان السببُ في تملّك المسلمين

---

(١) ل « أوقيتهم » .

(٢) كان فتح عكّا سنة ٦٩٠هـ. ولم يذكر أحد أن الشيخ شارك فيه . فلعلّ المؤلف وَهَم . انظر البداية لابن كثير .

إيّاها بفعله ومشورته وحُسْن نظره .

ولمّا ظهر السلطان غازان على دمشق المحروسة جاءه ملك الكُرْج وبَذَل له أموالاً جزيلةً على أن يُمَكِّنه من الفتْك بالمسلمين من أهل دمشق . ووصل الخبرُ الى الشيخ فقام من فَوْره وشجّع المسلمين ورغّبهم في الشهادة ، وَوَعدهم ، على قيامهم ، النصرَ والظفرَ والأمْنَ وزوالَ الخوْف . فانتُدِبَ منهم رجالٌ من وجوههم وكبرائهم وذوي الأحلام منهم ، فخرجوا معه الى حضرة السلطان غازان . فلما رآهم السلطان قال : مَنْ هؤلاء ؟ فقيل : هم رؤساء دمشق . فأذِنَ لهم . فَحَضروا بَيْن يديْه . فتقدّم الشيخُ رضي الله عنه أوّلاً ، فلمّا أنْ رآه أوْقَعَ اللهُ له في قلبه هَيْبَة عظيمة رضي الله عنه ، حتى أدناه وأجلسه ، وأخذ الشيخ في الكلام معه أوّلاً في عكس رأيه عن تسليط المخزولِ ملك الكُرْج على المسلمين ، وضمن له أموالاً وأخبره بحُرْمة دماء المسلمين ، وذكّره وَوَعظه . فأجابه الى ذلك طائعاً ، وحُقِنَتْ بسببه دماء المسلمين ، وحُمِيَتْ ذراريهم ، وصين حريمُهم .

وحدّثني مَنْ أثِقُ به عن الشيخ كمال الدين ابن المنجّا[1] ، قدّس الله روحه ، قال : كنتُ حاضراً مع الشيخ حينئذٍ . فجعل ، يعني الشيخ ، يُحدِّثُ السلطانَ بقولِ[2] اللهِ ورسوله في العَدْل وغيره ، ويرفع صَوْته على السلطان حتى جثا على رُكْبَتَيْه ، وجعل يقرُب منه في أثناءِ حديثه ، حتى لقد قرُب أن تلاصق ركبتُه ركبة السلطان ، والسلطانُ مع ذلك مقبلٌ عليه بكليّته ، مُصْغٍ لما يقولُ ، شاخِصٌ اليه لا يُعْرِضُ عنه ، وأنّ السلطان من شِدّة ما أوقع الله له في قلبه من المحبّة والهيْبَة

(١) الذي كان حاضراً مع الشيخ هو وجيه الدين ابن المنجّا .

(٢) في ل « ويقول الله ورسوله في العدل » .

سأل من يخصّه من أهل حضْرَته : مَنْ هذا الشيخ ؟ وقال ما معناه : إنّي لم أرَ مِثْلَه ولا أثْبَـتَ قلباً منه ، ولا أوْقع من حديثه في قلبي ، ولا رأيتُني أعظم انقياداً مني لأحدٍ منه . فأُخبر بحاله ، وما هو عليه من العلم والعمل . وسأله إن أحبَبْتَ أن أعمر لَك بلد آبائك حرّان ، وتنتقل اليه ، ويكون برسمك . فقال : لا والله ، لا أرغبُ عن مهاجرَ ابراهيم ، وأسْتَبْدلُ به غيره . فخرج من بين يديْه مكرّماً مُعزّزاً قد صنع له الله بما طوى عليه نيّته الصالحة من بذله نفسه في طلب حَقْن دماءِ المسلمين . فبلّغه ما أراده . وكان ذلك أيضاً سَبباً لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم ، وردّهم على أهلهم وحفظ حريمهم . وهذا من أعظم الشجاعة والثبات وقوّة الجأش .[1]

وأخبرني مَنْ لا اتّهمُه أنّ الشيخ رضيَ الله عنه حين وُشي به الى السلطان المعظّم الملك الناصر[2] . أحضره بين يديه فكان[3] من جملة كلامه : إنّي أُخْبِرْتُ أنّك قد أطاعك الناسُ ، وأن في نَفْسِك أخْذَ المُلْك . فلم يكترث به ، بل قال له بنفسٍ مطمئنّة وقَلْبٍ ثابتٍ وصَوْتٍ عالٍ سمعه كثيرٌ ممّن حَضَرَ : أنا أفعلُ ذلك ؟ والله إنّ مُلكك وملك المُغْل لا يُساوي عندي فلسيْن . فتبسّم السلطانُ لذلك . وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه / من الهيبة العظيمة : إنّك والله لصادق ، وإنّ

---

(١) حفظ لنا الحافظ ابن كثير صفة اجتماع ابن تيمية بقازان ، في ترجمة أبي عبدالله محمد ابن عمر البالسي المتوفي سنة ٧١٨ ، انظر البداية ١٤/٨٩ .

(٢) ل : « الناصر لدين الله » خطأ . ولم يكن اسم السلطان المملوكي إلاّ الملك الناصر ، وهو محمد ابن قلاوون . وهو الذي كان الشيخ في أيامه . وتولّى السلطنة سنة ٦٩٣هـ. انظر البداية ١٣/٣٣٤ . أما الناصر لدين الله فهو خليفة عباسيّ توفي سنة ٦٢٢هـ. انظر تاريخ الخلفاء ص ٤٤٨ .

(٣) ل « قال من جملة كلامه .. » .

الذي وشى بك إليَّ كاذبٌ . واستقرّ له في قلبه من المحبّة الدينيّة ما لولاه لكان قد فتك به منذ دهرٍ طويل من كثرة ما يُلْقَى اليه في حقّه من الأقاويل الزور والبُهْتَان. مِمّن ظاهرُ حاله للطّغام العدالة ، وباطنُه مشحونٌ بالفسق والجهالة[1] .

ولم يزل المبتدعون أهلُ الأهواء ، وآكلو الدنيا بالدين ، متعاضدين مُتناصرين في عدوانه ، باذلين وسعهم بالسعْي في الفَتْك به ، مُتخرِّصين عليه الكذب الصُراح ، مُخْتلقين عليه ، وناسبين اليه ما لم يقله ولم ينْقله ، ولم يوجد له به خطّ ، ولا وُجد له في تصنيف ولا فتوى ، ولا سُمع منه في[2] مجلس . أتراهم ما علموا أنّ الله سائلهم عن ذلك ومحاسبهم عليه ؟ أوَما سمعوا قول الله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ ونَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ به[3] نَفْسَهُ ، ونَحْنُ أقْرَبُ إليه من حَبْلِ الوريد . إذْ يَتَلَقّى المُتَلَقِّيان عن اليمينِ وعن الشِّمال قَعيدٌ . ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتيد .)[4] بلى والله ، ولكن غلب عليهم ما هم فيه من إيثار الدنيا على الآخرة ، والعمل للعاجلة دون الآجلة . فلهذا حسدوه وأبغضوه ، لكونه مُباينهم ومُخالفهم ، لبُغْضه ورفْضه ما أحبّوا ، وطلبه ومحبّته ما باينوا ورفضوا . ولمّا علم الله نيّاته ونيّاتهم أبى أن يُظْفرهم فيه بما راموا ، حتى إنّه لم يحضر معه منهم أحدٌ في عقد مجلس إلاّ وَصَنع الله له ونَصَرَه عليهم بما يُظهرُه على لسانه من دحْضِ حُجَجِهم الواهية وكشْف مكيدتهم الداهية للخاصّة والعامّة .

(١) انظر وصف اجتماع الشيخ بالملك الناصر . نقلاً عن القاضي جمال الدين القلانسي . في البداية ١٤/٥٣ .

(٢) ساقطة من ل .

(٣) ساقطة من ل .

(٤) سورة ق ، ٥٠ ، الآيات ١٦ ـ ١٨ .

الفصل الثاني عشر

من ذكر قوّته في مرضاة الله
وصبره على الشدائد ، واحتماله إيّاها ، وثبوته على الحقّ

آ) كان رضيَ الله عنه / من أعظم أهل عصره قوّةً ومقاماً وثبوتاً على الحقّ ، ولتحقيق توحيد الحقّ ، لا يصدُّه عن ذلك لوْم لائم ، ولا قوْل قائل ، ولا يرجع عنه لحجّة محتجّ ، بل كان إذا وَضَح له الحقُ يعضُّ عليه بالنواجذ ، ولا يلتفتُ الى مُباينٍ مُعاند . فاتفقَ غالبُ الناس على مُعاداته ، وجُلُّ مَنْ عاداه قد تستَّروا باسم العلماء والزمرة الفاخرة . وهم أقبلُ الناس في الإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة . وسَبَبُ عدواتهم له أنّ مقصودَهم الأكبر طلب الجاه والرياسة ، وإقبال الخَلْق وراءه . قد رقّاه الله الى ذروة السنام من ذلك بما أوقع له في قلوب الخاصّة والعامّة من المواهب التي منحه بها ، وهم عنها بمعزل ، فنصبوا عداوته ، وامتلأت قلوبهم محاسدة ، وأرادوا سَتْر ذلك عن الناس ، حتى لا يفطن بهم . فعمدوا الى اختلاق الباطل والبُهتان عليه ، والوقوع فيه خصوصاً عند الأمراء والحُكَّام ، وإظهارهم الإنكارَ عليه فيما يُفْتي به من الحلال والحرام . فشقّقوا قلوب الطّغام بما اخترصوه من زور الكلام ، ونَسَوْا أن لكلّ قول مقاماً[1] ، بين يَدَيْ أحكم الحُكَّام ، يسألُه

(١) ل : « أن لكل قول أي مقام » .

هل قلته بحقٍّ أو بذام[1] . فيجازي المحقّ دار السلام ، والمُبْطِلَ دار الانتقام . فبعضهم صَبَا إلى أقوالهم تقليداً ، وَصار في حقّ هذا الإمام جبّاراً عنيداً ، وأحسّ بذلك من العامّة قوم قد أصبحوا للحُكّام عبيداً ، وتصوّروا أن أخْذَهم بزمام حصول المال يكون شديداً ، فأصبحوا وهم لهم مُصدّقين ، وفي طاعتهم سابقين . فاجتمع من هذا التركيبُ العديد ، بحيث عاداه أكثرُ السادات والعبيد . كلٌ بحسب غَرَضه الفاسد . وهو مع ذلك كلَّما رأى تحاشدهم في مُباينته وتعاضدهم في مُناقضته لا يزداد للحقّ إلا انتصاراً[2] ولكثرة حججه / وبراهينه إلاّ إظْهاراً . (ب)

ولقد سُجن أزماناً وأعصاراً[3] ، ولم يولّهم دُبُرَه فراراً ، ولقد قصد أعداءه[4] الفتك به مراراً ، وأوسعوا حِيَلَهم عليه إعلاناً وإسراراً ، فجعل اللهُ حفظه منهم له شعاراً ودثاراً . ولقد ظنّوا أنّ في حَبْسه مشينة ، فجعله الله له فضيلة وزينة . وظهر له يوم موته ما لو رآه وأدُّه أقرَّ به عَيْنَيْه . فإنّ الله تعالى ، لعلمه بقُرْب أجله ، ألبسه من الفراغ عن الخلق للقدوم على الحقّ أجمل حُلله ، كونه حُبس على غير جريرة ، ولا جريمة ، بل على قوّة في الحق وعزيمة . هذا مع ما نشر الله له من علومه في الآفاق ، وبهر بفنونه البصائر والأحداق ، وملأ بمحاسن مؤلّفاته الصُّحف والأوراق ، كبْتاً ورَغماً للأعداء ، أهلِ البدع المضلّة والأهواء .

---

(١) كذا في « ل » ونسختنا . وهو خطأ . والوجه أن تكون « بذمّ » .

(٢) ل : « لا يزداد إلا للحق انتصاراً » .

(٣) كذا في ل ، ونسختنا . ثم ضُرب في نسختنا على قوله « أزماناً وأعصاراً » ووضع في الهامش « سنين وشهورا » وتحتها كلمة : صح .

(٤) ل : « أعداء الفتك به » خطأ .

الفصل الثالث عشر

في أنّ الله جعله حُجّةً في عصره، ومعياراً للحق والباطل.

وهذا أمرٌ قد اشتهر وظهر . فإنّه رضي الله عنه ليس له مُصنّف ولا نصٌّ في مسألة ولا إفتاء إلاّ وقد اختار فيه ما رجّحه الدليلُ النقْليّ والعقلي على غيره ، وتحرّى قوْل الحقّ المحْضِ فبَرْهَن عليه بالبراهين القاطعة الواضحة الظاهرة ، بحيث اذا سمع ذلك ذو الفِطْرَة[1] السليمة يُثلج قلبه بها ، ويجزم بأنها الحقُ المبين . وتراه في جميع مؤلّفاته إذا صحّ الحديثُ عنده يأخذُ به ويعملُ بمقتضاه ، ويقدّمُه على قول كل قائل من عالم ومجتهد . وإذا نظر المنصفُ اليه بعين العدل يراه واقفاً مع الكتاب والسُنّة لا يُميله عنهما قَوْلُ أحد ، كائناً مَنْ كان ، ولا يُرائي[2] في الأخذ بعلومهما أحداً ، ولا يخافُ / في ذلك أميراً ولا سلطاناً ، ولا سَوْطاً ولا سَيْفا ، ولا يرجع عنهما لقَوْل أحد . وهو متمسّك بالعُروةِ الوثقى ، واليد الطولى ، وعاملٌ بقوله تعالى (فإنْ تَنَازعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوه الى اللهِ والرّسولِ إنْ كنتُم تؤمنون باللهِ واليوْمِ الآخرِ . ذلك خَيْرٌ وأحسنُ تأويلاً)[3]

(١) ل : « ذلك والفطرة .. » ..

(٢) ل : « يراقب ... أحد » .

(٣) سورة النساء ، ٤ ، الآية ٥٩ .

وبقوله تعالى (وما اختلفْتُم فيه مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ الى الله)[1] .

وما سمعتُ[2] أنّه اشتهر عن أحدٍ منذ دَهْرٍ طويل ما اشتهر عنه من كثرة متابعته للكتاب والسُنّة ، والإمعان في تتبّع معانيهما ، والعمل بمقتضاهما . ولهذا لا يُرى في مسألة أقوالُ العلماء إلاّ وقد أفتى بأبلغها موافقةً للكتاب والسُنّة ، وتحرّى الأخذ بأقومها من جهة المنقول والمعقول .

ولمّا مَنّ الله عليه بذلك جعله حجّةً في عصره لأهله . حتى إنّ أهل البلد البعيدة عنه كانوا يُرْسلون اليه بالاسْتِفْتاء عن وقائعهم ، ويُعوّلون عليه في كشْف ما التبس عليهم حكمه ، فيَشْفي غلّتهم[3] بأجوبته المسدّدة ، ويبرهن على الحق من أقوال العلماء المتعدّدة . حتى إذا وقف عليها كلُّ محقّ ذو بصيرة وقُوى ، ممن قد وُفِّقَ لتَرْك الهوى ، أذْعَنَ بقبولها وبان له حقُّ مَدْلولها . وإنْ سُمعَ عن أحد من أهلِ وقته مخالفته في حقه المشهور يكونُ ممّن قد ظهر عليه عند الخاصة والعامة[4] فعل الشرور ، والاشتغال بتُرَّهات الغرور . ومَنْ[5] أراد تحقيق ما ذكرتُه فليُمْعِن النظر ببصيرته ، فإنّه حينئذ لا يرى عالماً من أهل أيّ بلد[6] شاء موافقاً لهـذا الإمام ، مُعْتَرِفاً بما منحه الله تعالى من صنوف الإلهام ، مُثْنِياً عليه في كلّ محفل ومقام ، إلاّ وراءه مَنِ اتّبع من علماءِ بلده الكتاب والسنّة / ، واشتغل بطلب الآخرة ورغب فيها ، وبالغ في

(١ ب)

(١) سورة الشورى . ٤٢ . الآية ١٠ .

(٢) ل : « وما سمت » خطأ .

(٣) ل : « عليهم » خطأ .

(٤) ل : « ظهر عليه الخاصة والعامة » سقطت « عند » .

(٥) ل : « من اراد » سقطت الواو قبل من .

(٦) ل : « من أي أهل بلد » .

الإعراض عنها وأهملها[1] . ولا يرى عالماً مُخالفاً له ، مُنْحَرِفاً عنه ، ملتبساً بالشحناء له إلاّ وهو من أكبرهم نَهَماً[2] في جمع الدنيا ، وأوسعهم حيلاً في تحصيلها ، وأكثرهم رياءً ، وأطلبهم سمعةً ، وأشهرهم عند ذي اللُبّ أحوالاً رديّة ، وأشدّهم على ذوي الحكم والظلم دهاءً ومكراً ، وأبسطهم في الكذب لساناً ، وإنْ نظر الى محبّيه ومُبْغضيه من العوام رآهم كما وصفْتُ من اختلاف القبيلَيْن الأوّلَيْن . ولقد أمعنتُ فكري ونظري ، فرأيته كما وصفته ، لا والله ما أتحرّجُ في أحدٍ منهما . ومَنِ ارتاب في ذلك فليعتبر هو بنفسه فإنه يراه كذلك ، إن أزاح عنه غطاء الهوى ، وما كان ذلك كذلك إلاّ لِمَا علم الله سبحانه من حُسْن طوية هذا الإمام ، وإخلاص قَصْده ، وبَذْل وُسعه ، في طلب مرضاة ربّه ، ومتابعة نبيّه صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) ل : « .. من اتبع من علماء بلده للكتاب والسنة وأشغلهم بطلب الآخرة وأرغبهم فيها ، وأبلغهم في الأعراض عن الدنيا وأهملهم لها » .

(٢) ل : « نهمةً » .

الفصل الرابع عشر

في ذكر وفاته وكثرة من صلّى عليه وشيّعه .

أخبرني غيرُ واحد ممن كان حاضراً بدمشق حين وفاته ، رضي الله عنه ، قال : إنّ الشيخ ، قدّس الله روحه ، مرض أيّاماً يسيرة ، وكان إذْ ذاك الملك شمس الدين الوزير [1] بدمشق المحروسة . فلما علم بمرضه استأذن في الدخول عليه لعيادته . فأذِن الشيخُ له في ذلك . فلما جلس عند أخذ يعتذر له عن نفسه ، ويلتمس منه أن يحلّـــه مما عساه أن يكون قد وقع منه في حقّه من تقصير أو غيره . فأجابه الشيخُ ، رضي الله عنه ، بأني قد احللتُك وجميع مَنْ عاداني وهو لا يعلم أنّي على الحقّ . وقال ما معناه : إنّي قد أحللْتُ السلطان المعظّم الملك الناصر من حبسه إيّاي كونه فعل ذلك / مقلِّداً غيره ، معذوراً ، (٢٠آ) ولم يفعله لحظّ نفسه ، بل لما بلغه ممّاظنّه حقّاً من مُبلِّغه ، والله يعلم أنه بخلافه . وقد أحللتُ كل واحد مما بيني وبينه ، إلاّ مَنْ كان عدوّاً للهِ ورسوله .

قال : ثم إنّ الشيخ بقِي الى ليلة الاثنين ، العشرين من ذي القعدة

---

(١) هذا وهم من الراوي . والمقصود هنا شمس الدين كاتب السرّ ابن شهاب الدين محمود ، الذي عُيّن سنة ٧٢٦ . وكان كاتب سرّ . ولم يكن ملكاً ولا وزيراً . أنظر البداية ١٢٢/١٤ .

الحرام ، وتوفي الى رحمة الله تعالى ورضوانه في بُكرةِ ذلك اليوم ، وذلك من سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة . وهو على حاله ، مُجاهداً في ذات الله تعالى ، صابراً ، مُحْتسِباً ، لم يَجْبُنْ ، ولم يَهْلَع ، ولم يَضْعُف ، ولم يتتعتَعْ ، بل كان الى حين وفاته مشتغِلاً بالله عن جميع ما سواه .

قال : فما هو إلاّ أن سمع الناسُ بموته حتى[1] لم يبْقَ في دمشق مَنْ يستطيعُ المجيء الى الصلاة عليه وأرداه إلاّ حَضَرَ لذلك وتفرَّغ له . حتى غلّقت الأسواقُ بدمشق ، وعُطِّلَتْ معايشُها حينئذ . وحصل للناس بمصابه أمرٌ شَغَلَهم عن غالب أمورهم وأسبابهم . وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفُقهاء والأتراك والأجناد والرجال والنساء والصبيان من الخواصّ والعوام .

قال : ولم يتخلّف أحدٌ من الناس فيما أعلم إلاّ ثلاثة أنفُسٍ[2] كانوا قد اشتهروا بمعاندته ، فاختَفوا من الناس خوفاً على أنفُسهم ، بحيث غلب على ظنّهم أنّهم متى خَرَجوا رجمهم الناس فأهلكوهم . فغُسِّل رضي الله عنه وكُفِّن .

قال : وازدحم مَنْ حَضَر غَسْلَه من الخاصّة والعامّة على الماء المنفصل عن غُسله حتى حصل لكلِّ واحدٍ منهم شيءٌ قليل .

ثم أخرجَتْ جنازتُه ، فما هو إلاّ أن رآها الناس حتى أكبّوا[3] عليها من كلّ جانب ، كُلاًّ منهم يقصد التبرّك بها ، حتى خُشي على

---

(١) ساقطة من ل .

(٢) ذكر ابن كثير عن البرزالي أنهم : ابن جملة ، والصدر ، والقحفازي . قال : وكان هؤلاء قد اشتهروا بمعاداته . (البداية ١٤/١٣٩) .

(٣) ل : « .. الناس فأكبتوا » .

ب) النعش أن يُحطَّم قبل وصوله الى القبر/ . فاحدقَ بها الأمراءُ والأجنادُ . واجتمع الأتراكُ فمنعوا الناسَ من الزحام عليها خشيةً من سقوطها ، وعليهم من اختناق بعضهم وجعلوا يردّونهم[1] عن الجنازة بكلّ ما يُمكنهم ، وهم لا يزدادون إلاّ إزدِحاماً وكثرةً ، حتى أدخلتْ جامع بني أميّة المحروس ، ظنّاً منهم أنّه يَسَعُ الناس ، فبَقي كثيرٌ من الناس خارجَ الجامع ، وصُلِّي عليه رضي الله عنه في الجامع ، ثم حُمل على أيدي الكبراء والأشراف ومَنْ حصل له ذلك من جميع الناس ، الى ظاهر دمشق ، ووُضع بأرْضٍ فسيحةٍ مُتّسعة الأطراف ، وصلّى عليه الناس .

قال : وكنتُ أنا قد صلّيْتُ عليه في الجامع . وكان لي مُسْتَشْرَفٌ على المكان الذي صُلّي فيه عليه بظاهر دمشق . فأحبَبْتُ أنْ أنظر الى الناس وكثرتهم ، فأشْرَفْتُ عليهم حال الصلاة ، وجعلتُ أنظر يميناً وشمالاً ولا أرى أواخرهم ، بل رأيتُ الناس قد طبّقوا تلك الأرض كلّها .

واتفق جماعة ممّن حضر حينئذٍ وشاهد الناسَ والمُصَلِّين عليه ، على أنّهم يزيدون على خمسماية ألف[2] . وقال العارفون بالنقل والتاريخ : لم يُسْمَع في جنازة بمثل هذا الجمْع إلاّ جنازة الإمام أحمد بن حَنْبَل ، رضي الله عنه .

ثم حُمل بعد ذلك الى قبره فوُضع . وقد جاء الملك شمس الدين الوزير ، ولم يكن حاضراً قبل ذلك . فصلّى عليه أيضاً ومَنْ معه من الأمراء والكبراء ومَنْ شاء الله من الناس .

---

(١) ل : « يردّوهم » .

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير نقلاً عن البرزالي قال : وأما الرجال فحُزروا بستين ألفاً الى مائة ألف ، الى أكثر من ذلك الى مائتي ألف . (البداية ١٤/١٣٦) . أما الذهبي فقال : شيّعه نحو من خمسين ألفاً وحُمل على الرؤوس (ذيل العبر للذهبي ص ١٥٨) .

ولم يُرَ لجنازةٍ أحدٍ ما رُئي لجنازته من الوقار والهيْبَة والعظمة والجلالة ، وتعظيم الناس لها ، وتوقيرهم إيّاها ، وتفخيمهم أمرَ صاحبها ، وثنائهم عليه بما كان عليه من العلم والعمل والزهادة والعبادة والإعراض عن الدنيا ، والاشتغال بالآخرة ، والفقر ، / والايثار ، والكرم والمروءة ، والصبر والبشارة ، والشجاعة والفروسيّة [1] ، والإقدام ، والصَدْع بالحقّ ، والإغلاظ على أعداء الله وأعداء رسوله ، والمنحرفين عن دينه ، والنَصْر لله ولرسوله ولدينه ولأهله والتواضع لأولياء الله والتذلّل لهم والإكرام والإعزاز والاحترام لجنابهم ، وعدم الاكتراث بالدنيا وزُخرُفها ونعيمها ولذّاتها وشدّة الرغبة في الآخرة والمواظبة على طَلَبها ، حتى لتسمع ذلك ونحوه من الرجال والنساء والصبيان ، وكلٌّ منهم يُثني عليه بما يعلمُه من ذلك .

(آ)

قال : ودُفن في ذلك اليوم رضيَ الله عنه ، وأعادَ علينا من بركاته . ثم جعل الناسُ يتناوبون قبره للصلاةِ عليه من القُرَى والأطراف والأماكن والبلاد ، مُشاةً وركباناً . وما وصل خبر موته الى بلدٍ ، فيما نعلمُ ، إلاّ وصُلِّيَ عليه في جميع جوامعه ومجامعه ، خصوصاً أرْض مصر والشام والعراق وتبْريز والبَصْرَة وقُراها وغيرها [2] . وخُتِمَتْ له الختمات الكثيرةُ في الليالي والأيّام ، في أماكن كثيرة لم يُضْبَط عددها ، خصوصاً بدمشق المحروسة ومصر والعراق وتبريز والبصرة وغيرها ، حتى جعل كثير من الناس القراءة له ديدناً لهم [3] ، وأُديرت [4] الربْعَةُ الشريفةُ على الناس لقراءة القرآن المجيد وإهدائه له .

(١) ل « والفراسة » .
(٢) ذكر ابن كثير أنه صُلِّي عليه أيضاً في المدينة المنوّرة سنة ٧٢٩هـ. (البداية ١٤/١٤٣)
(٣) قوله « ديدناً لهم » ساقط من ل .
(٤) ل : « وأدارت » .

وقد رثاه كثير من الفضلاء بقصائد متعدّدة[١] . ولا يَسَعُ هذا المختصر ذكرُها . وذلك لِما وَجَبَ للشيخ رضي الله عنه عليهم من الحقّ في إرشادِهم الى الحقّ ، والمنهج المستقيم بالأدلّة الواضحة الجليَّة النقليّة والعقلِيّة ، خصوصاً في أصول الدين . فإنّ الله أنعم على الناس في هذا الزمان الذي قد ظهرتْ فيه البِدَعُ وأُميتَتِ السُنَنُ ، وصار أغلبُ أهله مُمْرِجين[٢] / في البِدَع والحرام من حيث لا يشعرون ، ومن حيثُ لا يعلمون . ومَنّ الله عليهم بما وفّقه له من إيضاح أصول الدين ، وتَبْيين الحقّ المَحْضِ ، والاعتقاد العدْل ، وإفراده عن غيره من البِدَع والضلالات بأمور لم يُسْبَق الى مثلها ، وإظهارها على لسانه بما أورده من ذلك من مؤلّفاته ومُصَنَّفاته وقواعده المطابقة للحق ، وتقريراته ، وما أبرزَه من الحجج والبراهين الظاهرة ، الموافقة للمعقول والمنقول[٣] مما لم يتمكّن أحد من المتكلّمين والمناظريـن[٤] الإتيان بمثله ، وما أظهره وأورده من كثرة الدلائل العقليّة بعد النقليّة حتى قطع به جميع المبتدعين ، وكَشَفَ به عوار ججج الشاكين المُشكِّكين[٥] .

(٢ ب)

فجزاه الله أحسن الجزاء عن الاسلام والمسلمين ، وسبحان مَنْ أعطاه ما أولاه ، ومَدَّه بحسن التوفيق الى ما هداه ، وأعانه بالصبر الجميل الى أنْ توفّاه ، ورضيَ عنه وأرضاه . وزرقنا والمسلمين كافة[٦] الحياة والموتَ على الكتاب والسُنّة حتى نلقاه ، والاعتصام بهما جميعاً

---

(١) أنظر بعض هذه القصائد في : العقود الدريّة
(٢) المَرَجُ محركة الاختلاط والاضطراب (القاموس) .
(٣) ل : « الموافقة المعقول والمنقول » .
(٤) ل : « والنظّار » .
(٥) « المتشككين » .
(٦) ل : « ورزقنا وكافة المسلمين » .

في جميع ما نلقاه .

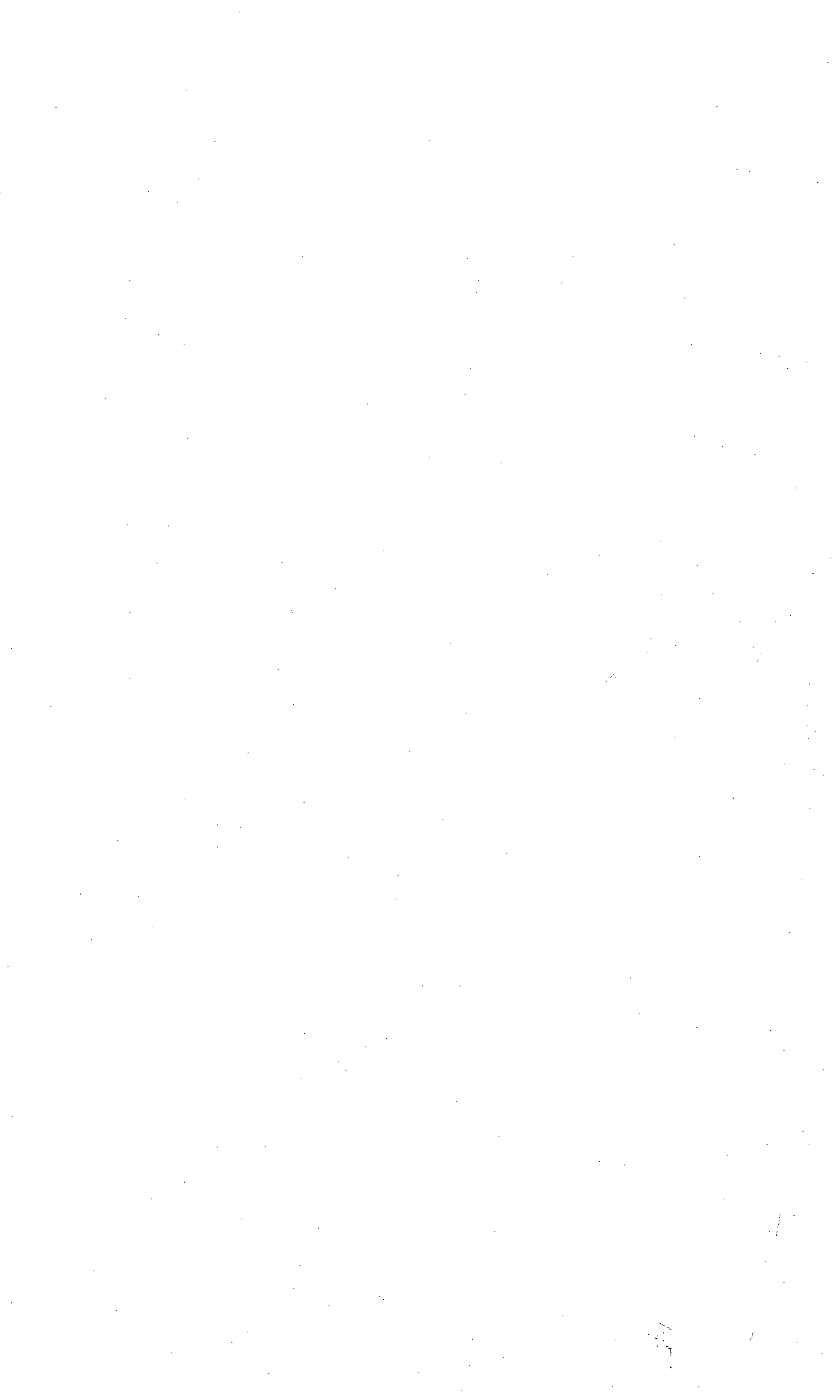
والحمد لله أوّلاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، حَمْداً كثيراً طيّباً مُباركاً فيه ، كما يحبُّ ربُّنا ويرضى ، والصلاة والسلام الأكملان الأطْيَبان على سيّدنا محمد المصطفى خاتم الأنبياء وصاحب اللواء[1] ، وعلى آله وصحبه أجمعين . آمين .

علّقه لنفسه فقير رحمة ربه محمد بن علي البعلي ثم الدمشقي الحنبلي ، لطف الله تعالى به في الدارين . ووافق تمامه غرّه المحرم سنة ست وخمسين وسبعمئة بالمدرسة الحنبلية بباطن دمشق حرسها الله والحمدلله وحده ، وصلواته على نبيه محمد وآله وصحبه وحسبنا الله ونعم الوكيل .

رحم الله من قرأ هذا الكتاب أو نظر فيه أو نسخه وأفـــاد منه . فدعا لشيخ الاسلام ولمؤلفه وكاتبه . عليهم الرحمة والرضوان أجمعين[2] (٢٢ آ) .

(١) ل : « اللوى » خطأ .

(٢) قوله : رحم الله من قرأ ... ، مضاف بخط غير خط الناسخ .



أسماء أصحاب الشيخ وأعوانه ومحبّيه

الحافظ الذهبي[1] .
الحافظ المزّي[2] .
الحافظ علم الدين البرزالي[3] .
الحافظ العماد ابن كثير[4] .
الشيخ شمس الدين ابن قيّم الجوزية[5] .

---

(١) الحافظ الكبير مؤرخ الاسلام وشيخ المحدّثين شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي الشافعي . توفي سنة ٧٤٨هـ. ترجمنا له ترجمة واسعة في كتابنا اعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب .

(٢) الحافظ جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المزّي الشافعي . توفي سنة ٧٤٢هـ. ترجمته في الشذرات ٦/١٣٦ ؛ والبداية ١٤/١٩١ .

(٣) الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي . مؤرخ الشام ، الشافعي . توفي سنة ٧٣٩هـ. ترجمته في البداية ١٤/١٨٥ والشذرات ٦/١٢٢

(٤) الحافظ الكبير عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير . الشافعي ، المؤرخ . صاحب « البداية والنهاية » . توفي سنة ٧٧٤هـ. ترجمته في الشذرات ٦/٢٣١

(٥) شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيّم المدرسة الجوزية بدمشق ، الدمشقي الحنبلي ، المفسّر الأصولي الفقيه . توفي سنة ٧٥١هـ. ترجمتُه في الشذرات ٦/١٦٨ والبداية ١٤/١٤٠ و٢٣٤ ، ذيول العبر ٢٨٢ .

الشيخ شمس الدين الحريري[١] .

الشيخة الصالحة أم زينب فاطمة البغدادية[٢] .

الشيخ تاج الدين الفزاري[٣] .

الشرف ابن المنجّا[٤] .

الشرف الجعبري[٥] .

الشيخ عبدالله بن رشيق[٦]

الشيخ خالد الزاهد[٧] .

الشيخ أبو العباس الزرعي[٨] .

---

(١) قاضي قضاة الحنفية بدمشق شمس الدين محمد بن عثمان الحنفي الدمشقي . توفي سنة ٧٢٨ هـ. ترجمته في البداية ١٤/١٤٢ ، والشذرات ٦/٨٨ .

(٢) أم زينب فاطمة بنت عبّاس البغدادية . من العالمات الفاضلات تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وكانت تحضر مجالس شيخ الاسلام ، وكان يثني عليها . وختّمت كثيراً من النساء القرآن . توفيت بظاهر القاهرة سنة ٧١٤هـ. انظر البداية ١٤/٧٢ ، والشذرات ٦/٣٤ ، والعبر للذهبي .

(٣) شيخ الشافعية بدمشق تاج الدين .

(٤) شرف الدين محمد ابن زين الدين ابن المنجا . سمع الحديث ودرّس وأفتى . وصحب شيخ الاسلام وكان من خواص أصحابه وملازميه حضراً وسفراً . توفي سنة ٧٢٤ (البداية ١٤/١١٦ : ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٧٧) .

(٥) الشرف يعقوب بن فارس الجعبري التاجر ، كان يحفّظ (بتشديد الفاء وكسرها) القرآن ويؤم بمسجد القصب بدمشق . ويصحب شيخ الاسلام . توفي سنة ٧٢٦هـ. انظر البداية ١٤/١٢٧ .

(٦) عبدالله بن رشيق المغربي ، كاتب مصنفات شيخ الاسلام . قال ابن كثير : كان أبصر بخط الشيخ منه ، اذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه أبو عبدالله هذا . توفي سنة ٧٤٩ . البداية ١٤/٢٢٩ .

(٧) الشيخ خالد الزاهد . كان من أصحاب الشيخ . توفي سنة ٧٤١ . (ذيول العبر ص ٢٢١)

(٨) أبو العباس أحمد بن موسى الزرعي ، أحد الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، صحب شيخ الاسلام وتفقه به . توفي سنة ٧٦٢هـ. (ذيول العبر ٣٤٥) .

الشريف الخشّاب[1] .
الشيخ عبدالله الجزري[2] .
الشيخ علي المحارفي[3] .
الأمير سيف الدين بُراق[4] .
الأمير زين الدين كتبُغا[5] .
البدر العوّام[6] .

---

(١) الشريف عماد الدين الخشّاب الذمشقي . كان من جملة أنصار شيخ الاسلام وأعوانه علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . بعثه الى صيدنايا مع بعض القسّيسين فلوّث يده بالعذرة وضرب اللحمة التي يعظمونها هناك . قاله ابن كثير . توفي سنة ٧٤٤هـ. (البداية ١٤/٢٠٩) .

(٢) عبدالله بن موسى الجزري . أحد الصالحين . كان ملازماً لمجالس شيخ الاسلام من كلامه أشياء كثيرة يفهمها توفي سنة ٧٢٥. (البداية ١٤/١١٩) .

(٣) علي بن أحمد الهلالي المحارفي . سمّي بذلك لأنه كان يحرف الأزقة ويصلح الرصفان . وكان صالحاً ويكثر التهليل والذكر جهرة . ويلازم مجالس شيخ الاسلام . توفي سنة ٧٢٧هـ. (البداية ١٤/١٣٠) .

(٤) الأمير سيف الدين بُراق . كان كثير الصلاة والصدقة ، محباً للخير . من أكبر أصحاب شيخ الاسلام . توفي سنة ٧٥٧ . (البداية ١٤/٢٥٤) .

(٥) الأمير زين الدين كتبغا المنصوري حاجب دمشق . كان من خيار الأمراء باراً للفقراء ، يحب الخِتَم والمواعيد والمواليد . وكان ملازماً شيخ الاسلام كثيراً . توفي بدمشق سنة ٧٢١ هـ. (البداية ١٤/١٠١) .

(٦) محمد بن علي البابا الحلبي . كان وحيداً في العوم في البحر . يسمع شيخ الاسلام كثيراً . توفي سنة ٧٢٥. (البداية ١٤/١٢٠) .

الشيخ شمس الدين الاصبهاني[1] .

الشيخ شمس الدين السلامي[2] .

الأمير سيف الدين أرغون[3] .

شمس الدين التدمري[4] .

محب الدين ابن المحب[5] .

بهاء الدين الكحّال اليهودي الذي أسلم[6] .

---

(١) شمس الدين محمود الأصبهاني قدم دمشق سنة ٧٢٥ ، فدرّس بالرواحية بدمشق واشتغل عليه الطلبة . وهو شارح مختصر ابن الحاجب ، وشرح الحاجبيّة . وتردّد كثيراً إلى شيخ الاسلام وسمع عليه مصنفاته وردّه على أهل الكلام . وكان الشيخ يحضر دروسه ولما مات شيخ الاسلام تحوّل الى مصر وجمع التفسير . (البداية ١٤/١١٧ و١١٨) .

(٢) الشيخ شمس الدين محمد بن داود السلامي البغدادي الأصل ، التاجر . كان له برٌّ تام بأهل العلم ولا سيّما أصحاب الشيخ تقي الدين . وتوفي بعد وفاة شيخ الاسلام بأربعة أيام سنة ٧٢٨هـ. (البداية ١٤/١٤٢) .

(٣) ارغون بن عبدالله الناصري ، كان نائب مصر ثم نائب حلب . سمع البخاري على الحجّار وكتبه جميعه بخطه وأذن له بعض العلماء بالافتاء . وكان يميل الى شيخ الاسلام عندما كان الشيخ بمصر . توفي سنة ٧٣١هـ. (البداية ١٤/١٥٥) .

(٤) شمس الدين محمد بن التدمري ، المعروف بالنيرباني . من كبار الصالحين ، خطيب الجامع الذي أنشأه ناظر الدواوين بدمشق شمس الدين غبريال . وكان من أصحاب شيخ الاسلام . (البداية ١٤/٨٨) .

(٥) محب الدين عبدالله بن أحمد ابن المحب ، الحنبلي . المحدّث الواعظ المقريء . كانت له مجالس وعظ من الكتاب والسُّنّة في الجامع الأموي . وله صوت طيب بالقراءة جداً . وكان شيخ الاسلام يحبه ويحب قراءته . توفي سنة ٧٣٧ (البداية ١٤/١٧٨) .

(٦) بهاء الدين عبد السيّد الطبيب الكحّال . كان ديّان اليهود . فأسلم على يدي شيخ الاسلام بعد أن بيّن له بطلان دينهم وما بدّلوه من كتابهم وحرّفوه . توفي سنة ٧١٥هـ . (البداية ١٤/٧٥) .

علاء الدين ابن عرفة(١) .

الحافظ شمس الدين ابن عبد الهادي(٢) .

القاضي ابن نُجَيْح(٣) .

الشيخ زين الدين ابن تيمية(٤) .

الشيخ شهاب الدين ابن مري(٥) .

الشيخ أبو بكر بن شرف(٦) .

---

(١) علاء الدين عليّ بن المظفر المعروف بابن عرفة . المقرىء المحدّث النحوي الأديب الشاعر . صاحب التذكرة الكندية ، وشيخ دار الحديث النفيسية . كان يلوذ بشيخ الاسلام . توفي سنة ٧١٦. (البداية ١٤/٧٨) .

(٢) محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، الحافظ شمس الدين الدمشقي الصالحي . نفقّه بشيخ الاسلام . وكان من جلّة أصحابه . درّس بمدارس دمشق ، وألّف كتاب « العقود الدريّة » في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية . وله تآليف كثيرة . توفي سنة ٧٤٤هـ. (ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٣٧ ؛ ذيول العبر ٢٣٩ ، البداية ١٤/٢١٠) .

(٣) القاضي زين الدين ابن النجيـح ، نائب القاضي الحنبلي بدمشق . من أصحاب الاسلام . كان مشكوراً في القضاء . توفي سنة ٧٤٩ . (البداية ١٤/٢٢٧) .

(٤) زين الدين عبد الرحمن بن عبد الحليم ابن تيمية ، أخو الشيخ تقي الدين . كان يتعانى التجارة ، حبس نفسه مع أخيه بالاسكندرية ودمشق محبة له وإيثاراً لخدمته . وما زال ملازماً له حتى مات الشيخ . توفي سنة ٧٤٧هـ. (البداية ١٤/٢٢٠ ؛ شذرات ٦/١٥٢) .

(٥) شهاب الدين أحمد بن مري الحنبلي ، ورد ذكره في البداية في سنة ٧٢٥ . قال : وفيها مُنع شهاب الدين ابن مري البعلبكي من الكلام على الناس بمصر على طريقة الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وعزّره القاضي المالكي بسبب الاستغاثة ... (البداية ١٤/١١٧) .

(٦) أبو بكر بن شرف الصالحي ، شيخ صالح سمع الكثير صحبة الشيخ تقي الدين ، والمزّي . وكان ممن يحب الشيخ تقي الدين . وكان معهما كالخادم لهما ، ترجم له ابن كثير في البداية ١٤/١٤١ ، توفي سنة ٧٢٨هـ.

الأمير التكريتي[1] .
شرف الدين ابن نجيح[2] .
الدقوقي[3] .

---

(١) لعله الأمير صلاح الدين يوسف التكريتي المتوفي سنة ٧٤٤هـ. ذكر ابن كثير أنه كان كثير المحبة للشيخ تقي الدين ابن تيمية ولأصحابه خصوصاً ولكل من يراه من أهل العلم عموماً . (البداية ١٤/٢١١) .

(٢) شرف الدين محمد بن محمد الحرّاني المعروف بأبي نجيح . قال ابن كثير : صحب شيخنا تقي الدين ابن تيمية ، وكان معه في مواطن كبار صعبة لا يستطيع الاقدام عليها الا الأبطال الخلص الخواص ، وسجن معه ، وكان من أكبر خدّامه وخواص أصحابه ، أوذي بسببه مرات ... توفي سنة ٧٢٣ . (البداية ١٤/١١٠) .

(٣) تقي الدين محمود الدقوقي البغدادي . محدّث بغداد . له قصيدتان رثا بهما الشيخ تقي الدين ابن تيمية توفي سنة ٧٣٣ . (البداية ١٤/١٦٢) .

اعداؤه والمعترضون عليه

الجاشنكير [1] .
شهاب الدين ابن جهبل [2] .
صفي الدين الهندي [3] .

(١) هو بيبرس البرجي الجاشنكير ـ ومعنى الجاشنكير الذي يتذوق الأطعمة للسلطان قبل تقديمها له ـ ولي الاستادارية للسلطان الناصر ، وكان له في وقعة شقحب يد بيضاء ، ثم تسلطن وتسمى بالسلطان المظفّر سنة ٧٠٨هـ. ثم عاد الناصر الى السلطنة ، فقبض عليه وخنقه . وكان من أعداء شيخ الاسلام . (ترجم له في الدرر) .

(٢) أحمد بن يحيي بن اسماعيل الشافعي الدمشقي ، كان من كبار الفقهاء وهو شيخ البرزالي . ألف كتاباً في نفي الجهة ردّاً على ابن تيمية . ذكر نصّه السبكي في طبقاته . توفي سنة ٧٣٣ . (طبقات الشافعية ٣٥/٩ ، الشذرات ٣٥/٩) .

(٣) محمد بن عبد الرحيم صفي الدين الهندي المتكلّم . من كبار العلماء بدمشق . قال ابن كثير : لما وقع من الشيخ تقي الدين في المسألة الحموية عُقد له مجلس بدار السعادة بين يدي تنكز (نائب السلطنة) وحضر الهندي وناقشه . وقال له : ما أراك يا ابن تيمية إلاّ كالعصفور ، حيث أردت أن أقبضه من مكان فر الى مكان آخر . وحُبس شيخ الاسلام بسبب تلك المسألة . توفي سنة ٧١٥ . (طبقات الشافعية ١٦٣/٩ . البداية ٧٤/١٤) .

القاضي كمال الدين ابن الزملكاني [1] .
تقي الدين السبكي [2] .
شمس الدين السروجي [3] .
تقي الدين ابن الاخنائي [4] .
صدر الدين ابن المرحّل [5] .

---

(١) محمد بن علي بن عبد الواحد الزملكاني قاضي القضاة الشافعية . كان يعظّم شيخ الاسلام ويثني عليه ، لكنه صنف مجلّداً في الرد عليه في مسألتي الطلاق والزيارة . توفي سنة ٧٢٧هـ (طبقات الشافعية ١٩١/٩ ، البداية ١٣١/١٤) .

(٢) علي بن عبد الكافي السبكي ، قاضي قضاة الشافعية بدمشق . ولي قضاء الشام فباشره بعفة ونزاهة غير ملتفت الى الأكابر والملوك . وولي التدريس بمدارس دمشق ، وكان محققاً نظّاراً له في الفقه الاستنباطات الجليلة والدقائق ، والقواعد المحرّرة التي لم يُسبق اليها . وكان منصفاً في البحث . له تأليف في الردّ على شيخ الاسلام في مسألة الطلاق . توفي سنة ٧٥٦ (شذرات ١٨٠/٦ ؛ البداية ٢٥٢/١٤) .

(٣) أحمد بن ابراهيم ، أبو العباس السروجي ، من كبار الفقهاء ، وقاضي القضاة الحنفي ، وشارح « الهداية » كان بارعاً في علوم شتى ، وأثنى عليه الذهبي . له ردّ على شيخ الاسلام بأدب وسكينة وصحة ذهن . في علم الكلام ، فردّ عليه الشيخ في مجلدات . توفي سنة ٧١٠هـ . (الدرر ٩٧/١ ؛ البداية ٦٠/١٤) .

(٤) تقي الدين ابن الاخنائي المالكي . ذكره ابن كثير فقال : ردّ علي شيخ الاسلام في مسألة الزيارة ، فردّ عليه الشيخ تقي الدين ابن تيمية واستجهله وأعلمه أنه قليل البضاعة في العلم . فطلع الاخنائي الى السلطان وشكاه ... (البداية ١٣٤/١٤) .

(٥) صدر الدين محمد بن عمر بن مكي ، مفتي المسلمين وشيخ الشافعية بدمشق . قال ابن كثير : كان ينصب العداوة للشيخ تقي الدين ويُناظره في المحافل والمجالس . وكان يعترف للشيخ بالعلوم الباهرة ويثني عليه . وقال ابن حجر : له مع ابن تيمية المناظرات الحسنة وبها حصل التعصب من اتباع ابن تيمية وقيل فيه ما هو بعيد عنه . وذكر الصفدي أن ابن تيمية لما بلغته وفاته قال : احسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين . توفي سنة ٧١٦ . (طبقات الشافعية ٢٥٣/٩ ؛ الوافي ٢٦٥/٤ ؛ البداية ٨٠/١٤) .

علي بن اسمح البعقوبي[1] .
أحمد بن محمد السكندري[2] .
الشيخ نصر المنبجي[3] .
زين الدين ابن مخلوف[4] .

(١) أبو الحسن النحوي ، أخذته التتار سنة ٦٥٦ حين دخلوا بغداد ، وكان صغيراً . فأقام عند انسان فقيه في بلاد بلغار ، فحفظ المفصّل والمفتاح وتميّز ، ثم سكن الروم وتزهّد . ثم قدم دمشق في سنة بضع وثمانين وستمائة ، واقتات من النسخ . وكان يحطّ على ابن تيمية ، لطعنه على بعض المتصوّفة . خرج قاصداً للحج فمات باللجون سنة ٧١٠هـ (الدرر ٣/١٥٨) .

(٢) أحمد بن محمد .. ابن عطاء الله السكندري . كان المتكلّم على لسان الصوفية في زمانه . قال الذهبي : وكانت له جلالة عجيبة ، ووقع في النفوس ، ومشاركة في الفضائل . وكان يتكلّم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروّح النفوس ، يمزج كلام القوم بآثار السلف وفنون العلم . » اهـ. قال ابن حجر : وهو ممن قام على الشيخ تقيّ الدين ابن تيمية فبالغ في ذلك . (الدرر ملخصاً ١/٢٩١) .

(٣) نصر بن سلمان المنبجي ، من رجال الصوفية . تصدّر في القراءات وشارك في العلوم . وارتفع ذكره في أيام الجاشنكير لأنه كان يعتقده ولا يُخالف أمره . قال ابن حجر : وكان يحطّ على ابن تيمية من أجل حطّه على ابن عربي . توفي سنة ٧١٩هـ (الدرر٥/١٦٥)

(٤) كان قاضي القضاة المالكية بمصر ، وهو علي بن مخلوف النُوَيْري ، زين الدين . قال ابن حجر : اشتغل على مذهب مالك ومهر . وكان مشكور السيرة كثير الاحتمال والاحسان للطلبة ، ودربة بالقضاء . توفي سنة ٧١٨هـ (الدرر ٣/٢٠٢) . وبسببه سُجن شيخ الاسلام في الاسكندرية .



فهرس أبواب الكتاب

مراجع التحقيق والحواشي

ابن تيمية : مجموع الفتاوي . جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد النجدي ، الرياض ١٣٨١ .

ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القرّاء . تحقيق برجستراسر ، القاهرة ١٩٣٢ .

ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة . تحقيق محمد حامد الفقي ، القاهرة ١٩٥٢ .

ابن حجر : الدرر الكامنة . نشرة محمد سيد جاد الحق . القاهرة ١٩٦٦ .

ابن حنبل : الرد على الزنادقة والجهمية . تحقيق محمد فهر شقفة ، حماة .

ابن حنبل : المسند .

ابن عبد الهادي : العقود الدريّة في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية . تحقيق محمد حامد الفقي ، القاهرة ١٣٥٦/٩٥٦ .

ابن العماد : شذرات الذهب . نشرة الأستاذ حسام القدسي ، القاهرة .

ابن قيّم الجوزية : اسماء مؤلفات ابن تيمية . تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٥٣ .

ابن كثير : البداية والنهاية . القاهرة ١٩٣٤ .

ابن ماجه : السنن . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٩٥٢ .

ابن ناصرالدين : الردّ الوافر . نشرة الشيخ زهير الشاويش . بيروت ١٣٩٣ .
أبو داود : السنن . تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٦٩ .
الاسفراييني : التبصير في الدين ، تحقيق الأستاذ الكوثري ، القاهرة ١٩٥٣ .
الأشعري : مقالات الاسلاميّين . تحقيق الأستاذ ريتر .
الأهدل اليمني : كشف الغطاء عن حقائق التوحيد . تحقيق أحمد بكير محمود ، تونس ١٩٦٤ .
البخاري : الصحيح . القاهرة ١٣١٤ .
الدارمي : السنن . تحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان ، دمشق . ١٣٤٩ هـ .
الديلمي : قواعد عقائد آل محمد ، نشرة عزة العطّار ، القاهرة ١٩٥٠ .
الذهبي : ذيول العبر . تحقيق محمد رشاد عبدالمطلب . الكويت ١٩٧٠ .
الرازي ، الفخر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .
السيوطي : تاريخ الخلفاء . تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٩ .
الشهرستاني : الملل والنحل . تحقيق محمد سيّد كيلاني ، القاهرة ١٩٦١ .
الصفدي : الوافي بالوفيات ، الجزء السابع . تحقيق احسان عباس . النشريات الاسلامية لجمعية المستشرقين الألمان ، ١٩٦٩ .
العراقي : الفِرَق المفترقة .
عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة
فنسك : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث . ليدن .
القمّي : المقالات والفرق . تحقيق محمد جواد مشكور . طهران ١٩٦٣ .

مسلم : الصحيح . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة .
الملطي : التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع .
المنجد ، صلاح الدين : أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ، ج ١ ، بيروت ١٩٦٣ .
المنجد ، صلاح الدين : بيمارستان نور الدين بدمشق ، دمشق ١٩٤٦ .
المنجد ، صلاح الدين : مخطط دمشق القديمة ، دمشق ١٩٤٧ .
المنجد ، صلاح الدين : معجم المخطوطات المطبوعة ، ٣ أجزاء ، بيروت
النسائي : السنن بشرح الحافظ السيوطي . نشرة مصطفى محمد ، القاهرة .
النعيمي : تنبيه الطالب . تحقيق جعفر الحسني . دمشق ١٩٤٨ .

Brockelmann, G.A.L.

بعض المخطوطات التي حققها

الدكتور صلاح الدين المنجد

١ ـ دور القرآن بدمشق ، للنُعيمي (٩٢٧٠) ، دمشق ١٩٤٦ وبيروت ١٩٧٥ .

٢ ـ اللغات في القرآن ، لابن حسنون (ـ٣٨٦) ، القاهرة ١٩٤٦ ، بيروت ١٩٧٥ .

٣ ـ رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ، لابن الفرّاء . القاهرة ١٩٤٧ ، بيروت ١٩٧٤ .

٤ ـ مختصر تنبيه الطالب وارشاد الدارس للنعيمي ، دمشق ١٩٤٧ .

٥ ـ تاريخ مسجد دمشق ، للبرزالي (ـ٧٣٩) ، دمشق ١٩٤٩ .

٦ ـ كتاب وقف القاضي عثمان بن المنجّا الحنبلي (ـ٦٤١) ، دمشق ١٩٤٩ .

٧ ـ ولاة دمشق في العهد العثماني . لابن جمعة ، دمشق ١٩٤٩ .

٨ ـ فضائل الشام ودمشق للربعي (ـ٤٤٤) ، دمشق ١٩٥٠ .

٩ ـ تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (ـ٥٧١) ، المجلدة الأولى ، دمشق ١٩٥١ .

١٠ ـ أسماء مؤلّفات ابن تيمية ، لابن قيّم الجوزية (ـ٧٥١) ، دمشق ١٩٥٣ ، بيروت ١٩٧٦ .

١١ ـ امراء دمشق في الإسلام ، للصلاح الصفدي (ـ٧٦٤) ، دمشق ١٩٥٥ .

١٢ ـ سير اعلام النبلاء للحافظ الذهبي (ـ٧٤٨) ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٣ ـ قضاة دمشق لابن طولون (ـ٩٥٣) ، دمشق ١٩٥٦ .

١٤ ـ فتوح البلدان للبلاذري (ـ٢٧٩) ١ ـ ٣ ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٥ ـ شرح السير الكبير للشيباني ، املاء السرخسي ١ ـ ٣ ، القاهرة ١٩٥٧ ـ ١٩٥٧ .

١٦ ـ نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي (ـ٩١١) ، بيروت ١٩٥٨ .
١٧ ـ تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، للبوريني (ـ١٠٤٣) ١ـ٢ ، دمشق ١٩٥٩ .
١٨ ـ العبر في خبر من غبر للذهبي ، الكويت ١٩٦٠ .
١٩ ـ حذف من نسب قريْش لمؤرّج السدوسي (ـ١٩٥) ، القاهرة ١٩٦٠ .
٢٠ ـ الدرّة المضيئة في تاريخ الدولة الفاطمية ، للدواداري (ـ٧٢٦) ، القاهرة ١٩٦٠ .
٢١ ـ مولد رسول الله (ص) للحافظ ابن كثير (ـ٧٧٤) ، بيروت ١٩٦١ .
٢٢ ـ شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها . للأنباري (ـ٣٢٨) ، دمشق ١٩٦٢ .
٢٣ ـ جامع محاسن كتابة الكتّاب ، للطيبي ، بيروت ١٩٦٢ .
٢٤ ـ سؤال في يزيد بن معاوية ، لشيخ الاسلام ابن تيمية (ـ٧٢٨) ، دمشق ١٩٦٣ ، بيروت ١٩٧٦ .
٢٥ ـ أمراء مصر في الاسلام ، لابن طولون (ـ٩٥٣) ، بيروت ١٩٦٣ .
٢٦ ـ المستظرف من أخبار الجواري ، للسيوطي (ـ٩١١) ، بيروت ١٩٦٣ .
٢٧ ـ فتوى في القيام والألقاب لابن تيمية ، بيروت ١٩٦٣ .
٢٨ ـ كتاب تنزيل القرآن للزُهري (ـ١٢٤) ، بيروت ١٩٦٣ .
٢٩ ـ القصيدة اليتيمة ـ برواية التنوخي ، بيروت ١٩٧٠ .
٣٠ ـ ديوان أبي محجن الثقفي ، بيروت ١٩٧٠ .
٣١ ـ معجم بني أميّة ، لابن عساكر ، بيروت ١٩٧٠ .
٣٢ ـ ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب ، للمرتضى الزبيدي (ـ١٢٠٥) ، دمشق ١٩٧١ .
٣٣ ـ ادب الغرباء ، لأبي الفرج الأصبهاني ، بيروت ١٩٧٢ .
٣٤ ـ معجم مصنّفات ابن أبي الدنيا ، دمشق ١٩٧٤ .
٣٥ ـ الذيل على مشتبه النسبة للذهبي ، لتقي الدين ابن رافع ، بيروت ١٩٧٤ .
٣٦ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ، بيروت ١٩٧٦ .